من بلاغة النَّظم القرآني

في آيات ثبات النبي - ﷺ -

وثبات المؤمنين

إعداد

د/ ليلى عطا اللّه متولي محمد

مدرس البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالإسكندرية ، جامعة الأزهر

من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات النبي -ﷺ- وثبات المؤمنين

ليلى عطاالله متولي محمد
قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ، جامعة الأزهر ، مصر
البريد الإلكتروني: lailaatall-islam.alx@azhaar.edu.eg

الملخص :
يتجلَّى هذا البحث في أنَّه محاولةٌ لبيان بعض بلاغة النَّظم القرآني المُعْجِز في (الآيات التي تحدثت عن ثبات النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم– والمؤمنين)، ولم أتطرَّق إلى جميع الآيات الواردة في الكتاب العزيز عن الثبات بغير اللفظ، وإنَّما اكتفيتُ بما يفي بالغرض ويثبت القضيّة ويدلّ عليها بصريح اللفظ.

وقد قُسِّم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس فنيَّة عامة.
أمَّا المقدمَّة فقد بيَّنت فيها أهمية الموضوع، والهدف منه، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته، وقد اشتمل التمهيد على: تعريف الثبات في اللغة والاصطلاح، ومعانيه في القرآن الكريم، وصيغه التي جاء عليها، وأثر الثبات على الفرد والمجتمع، وجاء المبحث الأول بعنوان: من بلاغة النظم القرآني في آيات ثبات النبي –صلى الله عليه وسلم.

وجاء المبحث الثاني: من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات المؤمنين.
وقد انهيت البحث بخاتمة أسفرت فيها عن أهم النَّتائج التي خَلُصَ إليها، مذيلة ذلك بفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النَّبوية، والمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

<u>الكلمات المفتاحية</u> : بلاغة، النَّظم القرآني ، آيات الثبات ، ثبات النَّبي–ﷺ– ، ثبات المؤمنين .

About the rhetoric of the Quranic system in the verses of the prophet's steadfastness -Peace be upon him- And the steadfastness of believers

Leila Attallah Metwali Mohammed
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies, Alexandria, Al-Azhar University, Egypt
Email: lailaatall-islam.alx@azhaar.edu.eg

Abstract:
This research is reflected in the fact that it is an attempt to demonstrate some of the rhetoric of the great Quranic system in (the verses that have talked about the Prophet- Allah's steadfastness on Him and Salam - and the faithful), and I have not addressed all the verses contained in the dear book on non-verbal fortitude.

The research has been divided into an introduction, a preface, two sections, a conclusion, and general technical indexes.

The introduction has described the importance of the subject, its purpose, the reasons for its choice, the research method and its plan. The preface included: the definition of consistency in language and terminology, its meaning in the Holy Quran, its formulas, the impact of persistence on the individual and society. The first section has been entitled: From the rhetoric of Quranic systems in the verses of the Prophet.

The second section came from the rhetoric of the Quranic system in the verses of the persistence of believers.

The research has been ended with a conclusion that resulted in the most important findings, appended to the Quranic verses, prophetic Ahadith, sources and references, and the topics index.

Keywords: Rhetoric, Quranic System, Verses Of Steadfastness, The Prophet's Steadfastness -Peace Be Upon Him-, The Believers' Steadfastness.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله الَّذي من ثَبَتَ على دينه نجَّاه، ومن استغنى به أغناه، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبدالله المبعوث رحمةً للعالمين، أرسله ربّه بالكلم الطَّيب، والذكر الحكيم فكان شفاءً وهدىً وثباتًا للعالمين، وشعاعًا استنارت به عقولهم فاستقاموا على الصِّراط المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الثَّباتَ هو الغاية المنشودة لكل مسلم يبتغي مرضاة ربّ العالمين، وقد بيَّن النَّظم القرآني من لدن الحكيم الخبير، الأسباب والوسائل التي من استمسك بها ثبت على الصِّراط المستقيم، والمتأمل فيها يبهره السَّنا الذي يشع منها، والخير والبركة التي بين جنباتها.

ولمَّا كان أفضل ما يبحث فيه الباحثون هو بلاغة القرآن الكريم، التي يُملأ بها القلب إيمانًا، ويقينًا، وثباتًا على الصِّراط المستقيم، وجَّهتُ وجهي للقرآن العظيم، واصطفيت (آيات الثَّبات) التي جاء فيها (الثَّبات) بصريح اللفظ، تأييدًا للنبي -ﷺ- والمؤمنين، والتي تُعد نوعًا من أنواع الإعجاز القرآني، ينبغي على كل مسلم أن يفهم مغزاه، ويفقه معناه، حتى ينأى بنفسه عمَّا يأرجح أرضه، ويثبت في الدنيا والآخرة؛ ولذا كان اختياري لهذا الموضوع:

﴿ من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات النبي -ﷺ- وثبات المؤمنين﴾

وقد دفعني إلى الإقبال على هذا الموضوع هو ارتباط الثبات بالقلب الذي من شأنه أنَّه متأرجح، وقد قال عنه صلَّى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا

الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ"(١)، وعلى هذا فبناء هذا المتقلب بناء نفسيًا قويمًا يحتاج إلى دعائم قوية وأسس يعالج بها شهواته ويحارب بها أي قوة عاصفة تعصف به في أصله وهو الإيمان، وتبنيه بناءً متزنًا ينظر إلى الأمور بدقة فلا يتسرب إلى قلبه قلق أو فوضى.

كما رغبت في الوقوف على كيفية عرض القرآن الكريم لأسباب الثَّبات، وما يترتّب على ذلك من تقويم الإنسان تقويمًا صحيحًا، كالصَّبر على الابتلاءات والعبادات ومقاومة النَّفس في الثَّبات على الطَّاعة، والدَّعاء والتَّضرع إلى الله تعالى، والإنفاق في سبيل الله –تعالى– من غير منّ ولا أذى، والقول الثابت، وغير ذلك من خلال بيان بعض أسرار النَّظم القرآني في هذه الآيات.

وكان الهدف من هذه الدراسة هو إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، بالتأمل في لفظ (الثَّبات) في كل آية من آياته، والتنوع البديع في التَّعبير عنه بأنماط مختلفة طبقًا لسياقاته التي ورد فيها باحثة عن أسرار هذا التَّنوع الأسلوبي المعجز.

وقد وجدت أنَّ أنسبَ المناهج لدراسةِ الموضوع هو المنهجُ التَّكاملي؛ حيث اعتمدتُ على المنهج الاستقرائي في استقصاءِ الآياتِ القرآنية التي تتحدثُ عن القضيةِ موضوعِ البحثِ، والمنهجِ التصنيفي في تصنيفِ الآياتِ وَفْقًا للقضايا التي تجمعُها، والمنهجِ الوصفي في وصفِ القضيةِ كمًّا وكيفًا، والمنهجِ التحليلي الجزئي الذي يتناول اللفظ في جملته، وفي السياق العام للآية تحليلًا بلاغيًّا يكشفُ عن القيمِ التي تشتملُ عليها.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، جـ٣٢/٤٣١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

وقد قمتُ في هذه الدِّراسة بإحصاءٍ شاملٍ للآيات القرآنية التي تحدَّثت عن ثبات النبي وثبات المؤمنين، ولم أتطرَّق إلى جميع الآيات الواردة في الكتاب العزيز عن الثبات ووسائله بغير اللفظ، وإنَّما اكتفيتُ بما يفي بالغرض ويثبت القضيّة ويدلّ عليها بصريح اللفظ.

وقد تحدَّث القرآن الكريم عن ثبات النبي والمؤمنين في اثنتا عشرة آية، بخمس صيغ مختلفة، فجاءت فكرة البحث: ﴿ **من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات النبي -ﷺ-وثبات المؤمنين** ﴾ بحثًا عن مقاماته، والوقوف على خصائص التَّعبير به وسماته.

أمَّا عن خطة البحث:

فقد اقتضت طبيعة البحث أن ينهضَ على مقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، ثم ثبت للمصادر والمراجع.

المقدمة، بيَّنت فيها أسباب اختيار الموضوع، والهدف من الدراسة، وخطة البحث ومنهجية البحث، والتمهيد، وضَّحت فيه تعريف الثبات في اللغة، والاصطلاح، ومعانيه في القرآن الكريم، وصيغه التي جاء عليها، وأثر الثَّبات على الفردِ والمجتمع، وبناء الفرد بناء نفسيًا قويمًا.

أمَّا المبحث الأول فجاء بعنوان: من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات النبي –صلَّى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني : من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات المؤمنين.

ثمَّ أتبعت ذلك بخاتمة وضَّحت فيها أهم نتائج البحث، ثم الفهارس الفنيَّة العامة.

وأخيرًا فلا أدَّعي أنَّني قد بلغت بهذا البَحْثِ حد الكمال، ولكن ما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من زللٍ وإخفاقٍ فمن نفسي، وهذه طبيعة أعمال البشر إذ تقصر هممهم عن الكمال مهما أخلصوا النِّيةَ في طلبه؛ لأنَّه –سبحانهُ– اختصَّ نفسهُ بالكمالِ وأبى أن يكون لأحدٍ سواه، والله يتولانا برحمته، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

أولا: تعريف الثَّبات في اللغة: الثَّبَات يطلق على "دَوَام الشَّيْءِ، يُقَالُ: ثَبَتَ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا"[١]، ورجل ثَبْتٌ متثبت في أموره، وثبت الجنان أي ثابت القلب[٢] وأَثْبَتَهُ السَّقم، إذا لم يفارقه[٣]، وهو: ضدّ الزوال، وهو يقال تارة لما يثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلان كذا وثبّته، وتارة لما يكون بالقول، سواء كان ذلك صدقًا منه أو كذبًا، فيقال: أثبت التَّوحيد وصدق النُّبوّة، وفلان أثبت مع الله إلها آخر[٤].

ثانيًا: الثبات في الاصطلاح: "هو الاستقامة على الهدى، والتَّمسك بالتُّقى، وإلجام النَّفس، وقصرها على سلوك طريق الحق والخير، وعدم النَّظر إلى صوارف الهوى والشَّيطان، ونوازع النَّفس والشَّيطان، مع سرعة الأوبة والتَّوبة حال ملابسة الإثم أو الركون إلى الدنيا"[٥].

ثالثًا: معاني الثبات الواردة في القرآن الكريم:

***التصديق واليقين والإقرار**، قاله الإمام الزَّمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين جـ١/٣٩٩، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) ينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، جـ١/ ٨٠، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، د/ط.ت.

(٣) ينظر: الصحاح، تاج العربية وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، جـ١/٢٤٥، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ١٧١.

(٥) الثبات، محمد بن موسى الشَّريف، صـ١١ ، ط١/ ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥][1].

* **البشارة:** قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢]، قال الزَّجاج: "أن يكون أنَّهم يثبتوهم بأشياء يلقونها في قلوبهم تقوى بها، وجائز أن يكونوا يرونهم مددًا، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا"[2]، وهذا من شأنه ما يحمل معنى البشارة بين جنباته.

***الدوام والاستقرار وعدم الزَّوال**، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]، فقد قال الإمام الزمخشري: (فاثبتوا) : أي لا تفروا في مواطن الحرب[3].

* **تسكين القلب**، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠].

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، جـ١/٤٩٦، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، وآخرون، النَّاشر: مكتبة العبيكان، ط١/١٤١٨هـ – ١٩٩٨مـ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، جـ٢/٤٠٤، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٣) الكشاف: جـ٢/٥٨٧.

قال الزجاج: ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب، وهو ههنا ليس للشك، ولكن كلما كان الدلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت كما قال سيدنا إبراهيم ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾ [البقرة من /٢٦٠](١).

***التقويـة والنُّصـرة والإعانـة**، قـال تعـالى: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ ﴾ [الإسـراء: ٧٤]. قـال الإمـام الزَّمخشري: "ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم، وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت"(٢) وتقوية ونصرة منه سبحانه.

وبعد، فالمتأمل في هذه المعاني التي ذكرها العلماء في تفسير معنى الثَّبات يجد أنَّها لم تبعد عن معناه في اللغة من الدَّوام والاستقرار، فسكون القلب والتَّصديق واليقين، قطب راحهما ومعقدهما المداومة والاستمرار.

وعلى هذا فإنَّ عماد الثَّبات ومعقده، هو الاستمرار والمداومة على الشَّيء وعدم التزلزل، بقول أو فعل أو أي نار فتنة.

ولمَّا كان بهذا المعنى كان شديدُ الوقع على كل من اقترب منه أو طلبه أو أخذ بأسبابه، كما أنَّ له عظيم القدر عند الله –عزَّوجل– لما يدل عليه من الانقياد التَّام لله –سبحانه– وعدم النَّظر إلى العواصف التي تعصف بالإيمان في قلب المؤمن، وقد كان النَّبي -ﷺ-يقول: فيما رواه أَنَس قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»(٣).

---

(١) معاني القرآن للزجاج، جـ٣/٨٤.

(٢) الكشاف جـ٣/٥٣٩.

(٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، جـ٤/٤٤٨، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر =

خامسًا: صيغ الثبات الواردة في القرآن الكريم:

م	الصيغة	عدد مرات ورودها	مواضعها حسب ترتيب المصحف
١	المضارع على حسب الضمائر المتصلة به (يثبت، نثبت، ليثبت، يثبت)	سبع مرات	قال تعالى:﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال من/ ١١]. قال تعالى:﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ ﴾ [هود من/١٢٠]. ﴿ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد من/ ٣٩]. قال تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم من/ ٢٧]. قال تعالى:﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [النحل من/ ١٠٢]. قال تعالى:﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان من/ ٣٢]. ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد من/٧].
٢	أمر (وثبت، فاثبتوا، فثبّتوا)	أربع مرات	قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ [البقرة من/ ٢٥٠]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾[آل عمران من/ ١٤٧] تعالى:﴿ فَٱثْبُتُوا۟ ﴾ [الأنفال من/ ٤٥]. قال تعالى:﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال من/ ١١، ١٢].
٣	الاسم: بصيغة المصدر الصريح (تثبيتا)	مرة واحدة	*قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة من/ ٢٦٥]
٤	المصدر المؤول (أن ثبتناك)	مرة واحدة	قال تعالى:﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ [الإسراء من/ ٧٤].
٥	اسم الفاعل (ثابت)	مرة واحدة	قال تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم من/ ٢٧].

=

الشريف،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢/ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

خامسًا: أثر الثبات على الفرد والمجتمع:

إنَّ الثَّباتَ يحافظ على الفرد، ويحمي وحدة الأمة، ويستأصل أسباب المنازعات فيما بين أفرادها، ويحقق للنفس الشعور بالأمن والطمأنينة، والراحة، كما أنَّه يبتعد بها عن الفوضى والقلق والاضطراب، ولهذا حثَّ النَّظم القرآني بأسلوبه المعجز في كثير من آياته عليه، والأخذ بأسبابه، حتى لا يتفرق القلب في إيمانه، ويصاب في صميمه، ويتبخر معنى الثبات والأمن النَّفسي.

وعليه فإنَّه يجب على الإنسان أن يثبت في دينه ومعتقده، وطاعته، وابتلاء الله –تعالى– له حتى يشرق قلبه برضوان الله عليه.

والمتأمل في الآيات التي ورد فيها الثَّبات، يجد النبي والمؤمنين قد رسموا للعالم بثباتهم، وقوة التَّوحيد في قلوبهم معنى الإيمان ومعنى الطَّاعة التي لا تزال تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها، وما وراء ذلك إلا تأثير القرآن وعبيره الروحي، وأثره في الصَّغير والكبير وغير العارف بالله وغير النَّاطق بالعربية، وذلك لأنَّ "للقرآن فوق البلاغة والحكمة والبيان روحانية يدركها من لا حظَّ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة، وإدراك البلاغة، ألا ترى إلى الطفل والعامي كيف يعتريهما تهيّب عند تلاوته، ولو بصوت حسن، حتى إنَّهما ليكادان يفرِّقان بين ماهو قرآن وما ليس بقرآن، فيما لو أراد التَّالي أن يغشهما... روحانية تظهر للعارف باللغة وغير العارف بها"(١) إنَّه صنيع القرآن المعجز الذي لا يتوفر لسواه.

****

(١) دائرة معارف، محمد فريد وجدي، جـ٧/٦٧٩، القرن العشرين، دار الفكر –بيروت دائرة المعارف ط٣/١٩٧١م.

المبحث الأول:

من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات النبي -ﷺ

توطئة:

جاء الثبات تأييدًا من الله –تعالى– للنبي– ﷺ- وحمل في طيِّه معنى البشرى، والأمان النفسي، وذلك في المواضع التالية:

- ثبات النبي – ﷺ- بقص القصص، قال تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾[هود: ١٢٠].
- ثبات النبي – عليه السلام- بعدم الركون إلى المشركين أو التعاطف معهم: قال تعالى:﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ ﴾ [الإسراء: ٧٤].
- ثبات النبي – ﷺ- بالقرآن الكريم وطريقة نزوله، قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

والمتأمل في الآيات يجد أنَّ الثباتَ قد تنوع بين الفعل المضارع، والمصدر المؤول، وجاء بمعناه المعنوي؛ حيث استدعاه المقام وبحث عنه.

وجاء فعلا للشرط بـ(لولا)، وهذا غاية في توكيد الثبات؛ لأنَّ أسلوب الشرط كما أشار الإمام الطاهر بن عاشور أنَّه من أساليب التوكيد لأنه يربط الكلام بعضه ببعض من خلال ارتباط الشرط بالجواب، فلذلك اعتمد عليه السياق، وكأنَّ ذلك إشارة إلى أهمية الثبات، وأنَّه لبنة في بناء العبد يجب أن ينال حظه من الدقة والإحكام.

وتارة جاء (الثبات) تعليلا لما قبله، كما أتى صلة للموصول؛ لبيان أنَّه ثبات عظيم لا يحيط به وصف.

الموضع الأول:

قـــال تعـــالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:١٢٠].

جاء الثَّبات –هنا– بمعناه المعنوي مصاحبًا للقصص، وهو بمعنى: زيادة يقين فؤاد النَّبي –ﷺ–وما فيه من طمأنينة قلبه(١).

والمتأمل للسياق يجد النبي –ﷺ– قد قابل دروبًا شاقة، وصنوفًا مختلفة من النَّاس تفننت في إيذائه، فكان الثبات المعنوي بقص القصص هو الدافع النَّفسي الذي جعله ينهض بدعوته في صبر ومثابرة.

وهذه الآية ترجع رجوعًا ظاهرًا إلى مقصود السُّورة الأعظم، الذي يوضح صفات الكتاب الموصوف بالكمال والإحكام، والتَّحذير من عدم اتِّباعه، والإخبار بما فعله الله –تعالى– بالقرى الظَّالمة، وكل من تبع نهجها(٢)، فجعلت بذلك كل متلق يتحمل الأمر الإلهي دون جزع.

وعند النَّظر في بلاغة النَّظم القرآني نجد أنَّها تكشف عن اقتران ثبات قلب النَّبي -ﷺ–وكل متلقٍ بقص القصص في جملة: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ وانتصاب (كُلاً) على المفعولية، وتقديمه على فعله ﴿ نَّقُصُّ ﴾(٣) للاهتمام به، وبكل ما تقدَّم من قصص الأمم السابقة، لأنَّ قص القصص في حقيقته ليس المراد منه الكلام، وإنَّما إيصال رسالة من طريقه لسامعه؛ لذا جاء النَّظم القرآني بتقديم

(١) ينظر: الكشاف، جـ٣/٢٤٨.

(٢) ينظر: نظم الدرر، جـ٩/٤٠٣،٢٢٥.

(٣) ينظر: الجدول في الإعراب محمود بن عبد الرحيم صافي، جـ١٢/ ٣٧١، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيرو، ط٤/ ١٤١٨ هـ.

المفعول على فعله لما فيه من تثبيت فؤاده--ﷺ-ومن ثمَّ يكون لنا معراجًا نصعد عليه للآخرة، فلا نيأس ولا نجزع، وإنَّما نثبت على الحق، ونصبر.

والتنوين في (كلاً) تنوين عوض من المضاف إليه كأنَّه قيل: وكل نبأ نَقُصُّ عَلَيْكَ[1]، وحذف المضاف إليه –هنا– له دلالة بلاغية متناسبة مع ثبات قلب النَّبي، ذلك أنَّه اشتد به إيذاء المشركين، وانهار قلبه حزنًا، حتى ضاعت آماله وأطماعه في إيمانهم، لأنَّهم استندوا إلى كل باطل لا يرجى معه هدى ولا أوبة، فأراد الله –تعالى– أن يقدم له الوقاية مختزلا كل ما يعوق طريقها، فلا يتسرب إلى قلبه أشواك الريب في نصر الله –تعالى– وتثبيته له.

وفي مجيء النَّظم القرآني بالفعل المضارع: ﴿ نَّقُصُّ﴾ إشارة إلى أنَّه معقود عليه تثبيت قلب النَّبي، وكل من تبعه، لأنَّه كلما تجدد قراءة القرآن بقصصه، كلما تجدد التَّثبيت، والاستمرار على منهج الله –تعالى– فهذا الفعل فيه دعوة إلى الاستمرار على التثبُت بكتاب الله، وأخذ الموعظة من قصص السَّابقين، وما نزل بهم.

وقد تعانق مع ثبات فؤاد النَّبي، حرف الجر (على) في جملة: ﴿ نَّقُصُّ عَلَيۡكَ ﴾؛ ذلك أنَّ القصص على النَّبي – ﷺ- قصص رفعة وعلو وصعود يعلوه ويحيط به من كل جانب، ومن الجانب الآخر يحيط بالمشركين إحاطة خذلان، وينزل عليهم كالصواعق المرسلة تخترق آذانهم، لأنَّهم أفَّاكون، آثمون، مفترون.

ولمَّا كان القصص ليس أساطيرًا كما يعتقد المشركون، وإنَّما من صفوة الله –تعالى– في خلقه، جاء بالبيان في قوله: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾، و(النَّبأ): هو الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ، ولا يقال

(١) ينظر: الكشاف جـ٣/٢٤٨.

للخبر في الأصل نَبَأٌ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة [١]، وعلى هذا فإنَّ التَّعبير به يثبت قلب النَّبي – ﷺ- ويغيّر الواقع، ويزلزل المشركين، ويقيم الحق، ويهدم الباطل.

والمد في :﴿أَنۢبَآءِ﴾ أكَّد على أنَّ هذه الأنباء ممتدة بامتداد عهد الرسل –عليهم السَّلام– والثبات بها ممتد في كل زمان ومكان، وبهذا يكون المد قد دخل على نفسية النبي – ﷺ- من جميع أقطارها، وتناغى معها بلغة ازداد بها ثباتًا وأنسًا، وطمأنينة.

وإضافة (الأنباء) إلى (الرسل) يومئ إلى أنَّها تحاور أشياء جليلة، ولها أثر عظيم في ثبات قلب النبي – ﷺ- وإقامة طريقه في مقاومة معانديه، الميؤوس منهم، ولا علاج في جحودهم.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾، نجد أنَّه عبَّر بالاسم الموصول:﴿ مَا ﴾ الذي يحمل جميع معاني التثبيت الحسية والمعنوية، وإن كان الثبات –هنا– بالمعنى المعنوي، لكن (ما) بإبهامها حملت كل المعاني التي يحتملها اللفظ، لترخي سدولها على قلب النبي -ﷺ- وكل متلقٍ في كل زمان، على أنَّه مهما اشتد ظلام الحياة والإنسان معتصم بالله –تعالى– فسيلقي بثباته عليه، بكل معانيه، ومد الصُّوت في هذا الاسم (ما) دلَّ على أنَّه ثبات بلغ الغاية والمنتهى.

ومجيء (الثبات) بالمضارع: ﴿ نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾، حاكي بحضوره كل ثبات للنبي، ووضعه أمام أعين المتلقي، فرأى من خلاله الثبات والأمان والهدوء النَّفسي، المتجدد المستمر، فجعله يعي الحكمة وفصل الخطاب.

والتَّعبير بحرف الجار (الباء) في قوله: ﴿ نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾، أكَّد الثبات وقرره، وهذا التوكيد نابع من دلالته على معنى الإلصاق، فالثَّبات

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ٧٨٨.

لقلب النبي –ﷺ- بالقصص ملازم له لا ينفك عنه في أي حال من الأحوال، وهكذا "تبرز أهمية الحروف ودورها في إبراز المقاصد والأغراض، وتتوقف دلالات النَّظم على إدراك مرامي الحروف، والتَّسمع لوسوسته"(١)، وعلى هذا فالثبات بهذا الحرف غمر قلب النَّبي أمانًا، وغمر نفسه بجرسه مهابة وعظمة.

والتَّعبير بـ(الفؤاد) دون (القلب) له دلالة متعانقة مع ثبات قلب النَّبي؛ لأنَّ (الْفُؤَادَ) يقال له: فُؤَادٌ إذا اعتبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ، أي: التّوقّد، ويدل على فرط تأثيره(٢)، كما أنَّه "الوعاء الذي من مهمته أن يكون مستعدًا لاستقبال كلمة الحق؛ وليقبل تنبيه الذكرى، وجلال الموعظة، وكمال الوارد من الحق سبحانه"(٣)، لذا جاء الثبات على الفؤاد لما كان منه من استعداد تام لهذا التثبيت.

فضلا عن تنكيره فقد أفاد تعظيم قلب النَّبي –ﷺ-عند الله –عزَّوجل- وكأنَّ جميع الأفئدة قد صبت في قلبه –ﷺ- لما تحمل في سبيل دعوته ما لا يحد بحد ولا يوزن بميزان، فقد تبددت طاقته فيما لا ينتج ولا يثمر إلا الإعراض والعناد، فوضع هذا التنكير قلب النَّبي في موضعه اللائق به.

وإذا نظرنا إلى جملة: ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، نجد أنَّ الثباتَ تحرك فيها بمعناه المعنوي، والمعنى أي: وجاءك في هذه السورة، وكل ما نقص عليك من أنباء الرسل قبلك موعظة،

---

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، أد/ محمد الأمين الخضري صـ ٧، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، ط١/ ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٦٤٦.

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي جـ١١/٦٧٧٥، الناشر: مطابع أخبار اليوم، د.ط ت.

وذكرى للمؤمنين(١)، وتعريف (الحق) متعانق مع ثبات قلب النبي، لأنَّ هذا التعريف يدل على تمام الحق وكماله، الذي يتصل بروح الله، وعندها لا يتصل بالقلب بوار ولا ضلال، فهو حق عظيم لا يضاهيه أي قوة في النَّصر والهداية والثبات.

ومما يؤكد ذلك حرف الظرفية (في)، فقد تجلَّى بمعناه الذي يدور حول التَّمكن إلى تمكن الحق في السورة بقصصها، واستقراره في أطوائها، مما يُثبّت قلب النَّبي -ﷺ- وكل من تبع هداه.

كما أنَّ تقديم الظرف ﴿ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ ﴾ على الفاعل: ﴿ ٱلۡحَقُّ ﴾ "بيانُ منافعِ السورةِ أو الأنباءِ المقصوصةِ فيها واشتمالِها على ما ذكر من المنافع المفصلةِ لا بيانُ كونِ ذلك فيها لا في غيرها ولأن عند تأخيرِ ما حقُّه التقديمُ تبقى النفسُ مترقبةً إليه فيتمكن فيها عند الورودِ فضلُ تمكّنٍ"(٢).

وفي عطف ﴿ وَمَوۡعِظَةٌ ﴾ على (الحق) تَرق لمعنى الثبات، وأثره في النُّفوس، لأنَّ (الموعظة): "زجر مقترن بتخويف والتّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب"(٣)، وهذا من شأنه ما يثبت الفؤاد الذي يتأثر ويرق لكل ما هو حق.

وإذا تدبرنا العطف نلحظ أنَّه فصَّل ما أُجمل في (الحق)؛ ووضعه أمام المتلقي، مما جعل المعنى أكثر وضوحًا وتأكيدًا.

كما أنَّ في هذا العطف بهذا اللفظ (موعظةٌ) تعريضٌ واضح بالمشركين، الذين أعرضوا عن الحق، فلا موعظة ولا تذكر لهم، لكن من امتلأ قلبه بنور الحق، فلا يتسرب إليه ضجيج الباطل، وصياحه.

---

(١) ينظر: الكشاف جـ٣/٢٤٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، جـ٤/٢٤٨.الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط.ت.

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ٨٧٦.

والتنوين في الكلمة زاد المعنى إشباعًا، وأشار إلى ثبات المؤمنين وصمودهم أمام أوهام الدنيا الزائفة، وهواجسها الشاذة التي لا توزن إذا قيست بالحق والنَّعيم الذي أعدَّه الله -تعالى- للمؤمنين.

ومجيء جملة: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالعطف على (موعظة) زاد من معنى الثبات؛ لما يرجع معنى (الذكرى) إلى التذكر بالقلب واللسان(١) فيزيد المؤمن يقينًا وثباتا وعرفانًا واطمئنانا بالإيمان.

وإذا تدبرنا تنكير (موعظة) و(ذكرى) نجد أنَّه يرجع إلى معنى جليل متعانق مع ثبات المؤمنين، لما فيه من تخصيص لهم دون غيرهم، فهم الذين يخشون الله -تعالى- في السِّر والعلانية، ويتعظون ويتذكرون الأمم السابقة، وتماديها في الضَّلال، فيعتبرون، ويتقون الله حق تقاته، فكان لهم الانتفاع بالموعظة والذكرى، والثبات دون غيرهم، ويؤكد هذا لام الاختصاص في: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهي عالم من المعنى؛ لأنَّها فتحت الباب لصبرهم على الطَّاعة والبلاء دون جزع، لما أذعنوا للحق بقلبهم، ولسانهم، وجوارحهم.

وبهذا يكون قص القصص قد باح بجملة من المعاني دارت في فلك التثبيت المعنوي، الذي جاء بالمضارع ليفوح بعبيره الواسع، على فؤاد النَّبي -ﷺ- وكل من تبع هداه من المؤمنين.

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم،الحموي، أبو العباس، صـ٢٠٨، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، د.ط.ت.

الموضع الثاني:

تأييد النبي وثباته بعدم الركون إلى المشركين أو التعاطف معهم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء:٧٤].

آثر النَّظم القرآني مجيء الثَّبات -هنا- بمعناه المعنوي في أسلوب شرط؛ تهييجًا للنبي -ﷺ- من أن يركن إلى المشركين مهما كانت قوة خداعهم، وشدة نفاقهم(١)، ومعنى التثبيت-هنا- قال عنه الإمام الطاهر: "جعل الشَّيء ثابتا، أي متمكنًا من مكانه غير مقلقل ولا مقلوع، وهو مستعار للبقاء على حاله غير متغير"(٢)، والمجيء به في صيغة المصدر المؤول ﴿أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ أبلغ في شدة تثبيت النبي -ﷺ- بدلا من المصدر الصريح (تثبيتًا) لما يدل عليه المصدر المؤول من شموله للزمان الحاضر الممتدد للمستقبل، فلا تستطع يد آثمة أو قول آثم مهما كان أن ينال منه أو من دعوته، لأنَّه تثبيت نفذ وقضي به، فاستحال الركون إلى المشركين، وإلى كلامهم وخداعهم.

وفي إسناد الفعل (ثبت) إلى ضمير العظمة(نا)، تأكيد على عظمته، فالمضاف إلى العظيم عظيم، وهو بذلك قد أحاط بالنبي من كل جانب، وأضفى عليه ظلاله حتى أصبح رداءا واقيا ظاهرًا وباطنًا.

وقد اتَّسم النَّظم القرآني بخصائص وفَّت بالدلالة، وأكَّدت هذه الاستحالة، وتعانقت مع تثبيت قلب النبي وعقله على ما وفقه الله -تعالى- له، والمتأمل يجد أنَّ (لولا) أدت دورها الدلالي في استحالة وقوع الجواب لاستحالة شرطه من الأصل.

---

(١) ينظر: الكشاف جـ٣/ ٥٣٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير جـ١٩/٢٠.

والمد فيها يأخذ بعناق هذه الاستحالة، ويدل على امتناعها في كل زمان ومكان، ما دام التثبيت من الله –تعالى– قائم.

وإذا تدبرنا جواب الشَّرط في جملة: ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ نجد أنَّه يدل على شدة إيذاء المشركين للنبي -ﷺ-وتطاولهم عليه بنفاقهم ومكرهم، وشدة جهدهم المبذولة في سبيل ذلك؛ لأنَّه –ﷺ-كاد أن يميل إليهم لخداعهم، فقد روي في سبب نزول الآية "أنَّ ثقيفًا قالت للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالًا نفتخر بها على العرب: لا نعشر، ولا نحشر، ولا نجبى في صلاتنا، وكل ربا لنا فهو لنا، وكل ربا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول، وأن تمنع من قصد وادينا وجّ فعضد شجره، فإذا سألتك العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إنَّ الله أمرنى به ثم جاؤا بكتابهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف: لا يعشرون ولا يحشرون، فقالوا: ولا يجبون، فسكت رسول الله -ﷺ- ثم قالوا للكاتب: اكتب: ولا يجبون، والكاتب ينظر إلى رسول الله، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسل سيفه وقال: أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارًا، فقالوا: لسنا نكلم إياك، إنَّما نكلم محمدًا فنزلت"(١).

و(اللام) و(قد) تؤكد هذا الإيذاء الشديد على النبي –ﷺ–بهذا الكيد والاحتيال، لكن هيهات هيهات لهم، فقد عبَّر النَّظم القرآني من جهة أخرى بالمضارع في جواب الشرط، (تركن) مع مصاحبته لفعل المقاربة(كاد)، ولم

---

(١) الكشاف: جـ٣/٥٣٨، ومعنى التجبية: "أن يقوم الانسان قيام الراكع"، الصحاح تاج العربية، وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي جـ٦/٢٢٧٩، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، والعشر: يدل على المداخلة والمخالطة، ينظر: مقاييس اللغة جـ٤/٣٢٤.

يقل: (ركنت) مجردًا من هذا الفعل؛ لما يدل عليه (كاد) من المقاربة من الفعل دون الشروع فيه، فمنعت مجرد المقاربة، أمَّا الوقوع في الفعل فمستحيل، وهذا مما يدلُّ على أن طبيعته -ﷺ- حتى دون الوحي من الله طبيعة سليمة بفطرته، وهي ذاتية مستقلة به -ﷺ- دون غيره[١].

ومجيء الجار والمجرور في: ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ متعلق بـ(تركن) في جملة: ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ﴾[٢] يتعانق مع شدة احتيالهم، لما يدل على على الغاية المرجوة من وراء ذلك أن يجعلوا النبي بحقدهم يركن إليهم، دون غيرهم، لكن محاولتهم باءت بالفشل.

والمفعول المطلق وإضافته إلى النَّعت (قليلا) في جملة: ﴿شَيۡـًٔا قَلِيلًا﴾ أكَّد على فشل هذه المحاولة؛ "لشرف جوهره -ﷺ-وزكاء عنصره، ورجحان عقله، وطيب أصله، فالنبي -ﷺ- لو وكِّل إلى نفسه وما خلق الله في طبعه وجبلته من الغرائز الكاملة والأوصاف الفاضلة، ولم يتداركه بما منحه من التثبيت لم يركن إليهم"[٣].

وهذا المعنى بدوره يحاكي مجيء (التثبيت) بصيغة المصدر المؤول مع إضافته لنون العظمة، فهو ثبات عظيم، لا يحاكيه ثبات ولا توفيق، وقد قال الإمام الشعراوي معنى جليل في هذا المقام، التَّثبيت هو: منع المثبَّت أن يتأرجح[٤]، وعلى هذا فالثبات -هنا-عطاء معنوي يتجلى بآثاره الحسية على النبي -ﷺ-في القول والعمل، ويحمل في طيه الأمان من كل مكر وعذاب وهوان.

(١) ينظر: تفسير الشعراوي جـ١٤/ ٨٦٩٠.
(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه جـ٥/ ٤٧٨.
(٣) ينظر: نظم الدرر جـ١١/ ٤٨٧.
(٤) ينظر: تفسير الشعراوي جـ١٤/ ٨٦٩٠.

الموضع الثالث:

الثبات ونزول القرآن مفرقًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾[الفرقان:٣٢].

هذه الآية تعرض شبهة من الشبهات التي دارت حول القرآن الكريم، وهي نزوله مفرقًا، وهي امتداد لمسار السورة وتسميتها بالفرقان، فما نزل القرآن هكذا إلا للتفرقة بين الحق والباطل، فلم يدع خفاء إلا بيَّنه، ولا حقا إلا أثبته، ولا باطلا إلا أهلكه[(١)]، ولا قلبا إلا ثبتَّه.

وجاء الثَّبات –هنا– بمعناه المعنوي، مقرونًا بهذا النزول المفرق، وهو بمعنى: تصحيح عزيمة قلب النَّبي ويقين نفسه، وتشجيعه به[(٢)]، وجاء بمعناه بمعناه المعنوي؛ ليسجل النَّظم القرآني من خلاله، تثبيت فؤاد النَّبي –ﷺ– ومجاهدة نفسه في قناعة تامة، والسيطرة على انفعالاته، وتنقية قلبه من الغضب، لما تلقاه من المشركين من كبر وعناد ومواجهة عنيفة للدعوة، ومطالبة بتعجيزه؛ لذا جاء التَّثبيت بجرسه المشدد، الذي لا حصر لشدته، وبنائه اللفظي القوي، ﴿لِنُثَبِّتَ﴾ ليربط على قلب النَّبي –ﷺ– ويقمع شياطين الفساد والإفساد التي تظلم الفطرة، وتشوه الحقائق.

والخبر الذي افتتح به الآية: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ معقود على تهافتهم، وسقوطهم، وضلالهم، والفعل (قال) يدلُّ على ذلك، فقد تقوَّلوا الأقاويل العظيمة في الإجرام، والفحش.

---

(١) ينظر: نظم الدرر جـ١٣/٣٣١،٣٢٩.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جـ١٧/٤٤٦، تحقيق: د/عبدالله بن محسن التركي، النَّاشر: دار هجر، للنشر والطباعة والإعلان، ط١/١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، القاهرة.

ومجيء الآية بالعطف، فيه إشارة إلى هذا الإجرام، فمن طلب رؤية الله –تعالى– في الدنيا ونزول الملائكة(١)، فليس ببعيد عنه أن يطلب أن ينزل القرآن جملة واحدة، فكان هذا العطف لبيان صعودهم في الإجرام الذي فاق معناه، والذي بدوره تساقط على فؤاد النَّبي –ﷺ– بالدهشة والانهيار، فكان التثبيت بمعناه المعنوي هو العطاء النَّفسي الذي منحه الله –تعالى– لنبيه جراء ما تثاقل على قلبه من الاضطراب والقلق.

وتعريف المسند إليه بالموصولية: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في جملة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ يدل على كثرة الهموم التي هجمت بقسوتها على النَّبي –ﷺ– لما في هذا الاسم من إشارة إلى أنَّهم عرفوا بالصِّلة واشتهروا بها، وبكل الجرائم التي سجلها عليهم النَّظم القرآني، ويأتون بشهرتهم العريقة هذه، ويتعرضون بفحشهم وضلالهم، وإضلالهم، للنبي، فكان الثبات المعنوي هو الأليق بالمقام؛ للاقتلاع من فؤاده –ﷺ–كل ما يقلقه.

وفي بناء جملة مقول القول على الشرط بـ(لولا) في قولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ يدل على امتناع إيمانهم وقبولهم للقرآن منعًا لا أوبة فيه لامتناع نزوله جملة واحدة، ليس ذلك فقط، وإنما يمتنعون من الإيمان على أي حال، ومن ثمَّ أدت (لولا) دورها في المعنى، ودلت على كشف ضمائرهم الفاسدة، وقلوبهم المنحرفة، وهذا من شأنه ما تسبب في انتفاض قلب النَّبي –ﷺ– وتألمه.

ومما زاد من معنى تسفههم اصطفاء النَّظم القرآني: (نُزِّل) بصيغة التفعيل بدلا من (أنزل) لتناسبه مع جرمهم، لما فيه من دلالة على التَّقطيع والتدريج في الفعل، والنُّزول حالا بعد حال، فهم يحكون الصورة التي نزل

(٤) قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [الفرقان: ٢١].

بها القرآن ثمَّ ينكرونها بقولهم:﴿ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾[1]، وهذا إشارة إلى استدراج السَّامع لكي لا يعرض عنهم[2]، وفيه تسجيل عليهم بالتهمة التي اتهموا بها القرآن، ثمَّ أنكروها[3]؛ لذا جاء النَّظم القرآني بهذا الفعل، وحذف جواب (لولا) والتقدير (لكان قرآنا)، إشارة إلى تساقط قولهم، واقتلاعه من أصله، وعوَّل على ما هو الأولى بالنَّبي وهو ثبات قلبه –ﷺ– والذين ءامنوا معه بنزول القرآن مفرقًا، وحذف من طريقه كل ما يعوق هذا الثبات.

وفي مجيء تلفظهم بالقرآن في: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ دلالة على شدة عجزهم، وفساد سعيهم، لما فيه من اعترافهم بالقرآن، حيث لا يوجد فيه شك، فجاءوا يدورن حول القرآن[4]، واعترضوا على كون نزوله مفرقًا، لما في نفوسهم من جمود وتعنت، ولم يتدبروا في حكمته –تعالى– فأحزن صدر النبي–ﷺ– فجاء الجواب مستأنفًا، في جملة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ ليفحمهم، ويرد على جرمهم وإساءتهم الأدب مع الذي جاءهم من عند الله –تعالى– خالقهم ورازقهم ومتكفل بجميع أمورهم مع شدة كفرهم وإنكارهم.

والكاف في: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ في "موضع نعت لمصدر محذوف، أي: نزلناه تنزيلا في مثل ذلك التنزيل"[5]، وهذا الحذف له دلالة منبهة ولافتة إلى تقرير المعنى في النَّفس، ودلالة على الحكمة البالغة من تنزيل القرآن منجمًا، وإثبات ذلك لفاعله دون غيره، وهذا مما يجعلهم يرجعون إلى أنفسهم؛ ليعلموا أنَّ إعتراضهم زائف لا يتردد إلا عندهم فقط، فيمتلئ

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن جـ١٠/١٧.
(٢) ينظر: نظم الدرر جـ١٣/٣٧٩.
(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، جـ١٠/١٧، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ، د/ط.ت.
(٤) ينظر: السابق.
(٥) إعراب القرآن وبيانه جـ٧/١٠.

إحساس المتلقي بمشاعر التحقير من شأنهم ومن شأن ما قالوه، وما افتروا به.

واسم الإشارة للبعيد ﴿ذلك﴾ يؤكد النظم القرآني به أنَّ هذا النزول الذي يريد المشركون من خلاله أن ينالوا من الذكر الحكيم، هو نزول عظيم، سيجني ثماره النبي–ﷺ– وكل الأمم بأجمعها في كل زمان ومكان.

وهو ما جاء في جملة: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ وهذه الجملة هي المعقد الذي دار حوله نزول القرآن منجمًا، لأنَّها تعليل لهذا النزول، وهذا الاستهزاء الذي تسفهوا به.

والفعل (نُثَبِّت) عالم من المعنى، وهو من أدق الأفعال وأوفاها بمعنى جليل، وهو مؤازرة قلب المصطفى لما تلقاه في سبيل دعوته.

والتثبيت –هنا– يستعار لليقين والاطمئنان، والأمان النفسي، الذي يعتري العقل، فيجعله ثابتا في ألفاظه ومعانيه لا يضطرب فيه(١).

ومجيء التثبت في أسلوب المجاز جعل المتلقي يبصر رحمة الله –تعالى– التي تحيط بنبيّه، وبكل مؤمن تعتريه النوائب والشدائد، ومن ثَمَّ تمكن المعنى في عقله، واستشعر مدى فضل الله–تعالى– ورحمته بعباده.

ويتجلى التَّثبيت المعنوي من خلال تقديم الجار والمجرور (به) على (فؤادك) لأنَّه عكس مدى عناية الله –تعالى– بعظم طريق النزول، والمنزل عليه، واختصاصه به، فما نزل القرآن هكذا إلا لتثبيت فؤادك أيها النَّبي الكريم، كما أنَّ هذا الحرف (الباء) جعل الثبات ملاصقًا للنبي –ﷺ– لا ينفك عنه، فزاده يقينًا وعرفانا، وزادًا لروحه يتزود به كلما صَعُب المسير.

ولا يفوتنا إذا أمعنا النَّظر في نزول القرآن منجمًا نجد أنَّه في قمة الإعجاز؛ لأنَّه بذلك طابق مقتضى الحال، وناسب المقام، لكن إذا نزل

(١) ينظر: التحرير والتنوير ج١٩/١٩.

جملة واحد صعب تذكره، وتدبره، وفاته المناسبة التي من أجلها نزل[1]، وهذه هي القمة في بلاغة النَّظم القرآني لمن يعي الحكمة وفصل الخطاب.

ويؤكد هذا المعنى جملة: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ لما فيها من تمام الإعجاز، وتمام الثَّبات، وهذا يرجع إلى معنى الترتيل الذي يدور حول: "اتّساق الشَّيء وانتظامه على استقامة"[2]، وهذا من أكبر الدلائل أنَّ القرآن العظيم من عند الله –تعالى– لأنَّ شأن كلام النَّاس إذا فرق تأليفه على أزمنة متباعدة أن يعتريه التفكك وعدم تشابه أطرافه، لكن كلام الله –عزَّوجل– يزداد ثباتا ويزداد المؤمن به يقينا واطمئنانا[3]، والتشديد في الفعل: (رتَّل) دلَّ بقوة جرسه، وشدته على شدة الاستقامة، والانتظام، والمفعول المطلق ﴿تَرْتِيلًا﴾ أكَّدَ ذلك وأخذ بعناقه.

وهكذا نجد أنَّ نزول القرآن منجمًا من تمام ثبات فؤاد النَّبي ﷺ– وهذا الثبات يعلو به كل متمسك بحبل الله –تعالى– ويذل بدونه كل عظيم متجبر، فلا يتوهم متوهم أنَّه سينال من الذكر الحكيم.

هذا ... وتجد تسلسلا عجيبًا في آيات ثبات النبي –ﷺ– وتناسبًا روحيًا ولفظيًا ومعنويًا، وجاء تسلسل الأحداث رغم تباعد السور في ترتيب تام؛ حيث إنَّ قص القصص جاء في المرتبة الأولى؛ ليعلم النبي -ﷺ– أنَّه ليس بدعا من الرسل، فينأى به عن عدم التعاطف مع المشركين، ثمَّ جاء طريق نزول القرآن منجمًا؛ ليصل بالنبي–ﷺ– إلى الثبات في أعلى صوره.

وهذا بدوره يكشف عن حركة المعنى في القرآن الكريم بين آيات ثبات النبي –ﷺ–خاصة وبين سوره عامة، فيزداد المتلقي يقينًا بنظم القرآن المعجز.

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي، جـ٤/١٢٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٣٤١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير جـ١٩/٢٠.

المبحث الثاني:
من بلاغة النَّظم القرآني في آيات ثبات المؤمنين

توطئة:

يتناول هذا المبحث الآيات التي اشتملت على ثبات المؤمنين وقد جاء ذلك في ثمانية مواضع في تسع آيات بيِّنات على النَّحو التالي:

منها ما جاء مصاحبا للصبر في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

ومنها ما جاء مصاحبًا للإنفاق في سبيل الله، في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ومنها ما جاء مصاحبًا لمغفرة الذنوب في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[آل عمران:١٤٧].

ومنها ما جاء مصاحبًا لتأييد المؤمنين بالملائكة في قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢ – ١٣].

ومنها ما جاء مصاحبًا لذكر الله، في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾ [الأنفال: ٤].

وقد جاء مصاحبًا للقول الثابت في قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾[إبراهيم: ٢٧].

ومنها جاء مصاحبا للقرآن: قال تعالى:﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢ ﴾ [النحل: ١٠٢].

ومنها ما جاء مصاحبًا لنصر دين الله ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد:٧].

والنَّاظر في هذه الآيات يجد النَّظم القرآني جاء بالثبات في أسلوب إنشائي، وتارة شرطي هيَّأ له بالنِّداء لتنبيه الأسماع، واستمالتها لتلقي أوامره سبحانه بقلوب واعية، وجاء في أسلوب شرط بـ(إنَّ) فوقع كمن يشك في حصوله، وتارة بـ(إذا) لتحقق الوقوع، وتغيَّرت صيغه بين الفعل والمصدر، للتأكيد على أهميته، ومدى أثره على الفرد والمجتمع، وكان لكل منها سياقه الذي بحث عنه، واستدعاه.

الموضع الأول: مصاحبة الثبات للصبر:

لمَّا كان الصَّبر هو: "حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع"(١)، وهو الاستعانة بالله تعالى، وتلقي أقداره بالرحب(٢)؛ جاء الثَّبات مصاحبًا له لما له من مكانة عظيمة في تثبيت القلوب والأقدام، فهو الذي يحفز النَّفس على الطَّاعة، ويجعلها ممسكة بزمامِ الهداية، فلا تضل ولا تشقى.

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

الثبات في هذه الآية، قال عنه الإمام الطبري بمعنى: "وقوِّ قلوبنا على جهادهم، لتثبت أقدامنا فلا نهزم عنهم"(٣).

ولم يبعد الإمام الزمخشري عن ذلك فقد قال: إنَّه بمعنى قوة القلوب، وإلقاء الرُّعب في قلوب العدو، وهذا من شأنه ما يثبت الأقدام في مداحض الحرب(٤).

وإذا توقفنا مع هذه الآية نجد أنَّها تدور في سياق الحديث عن بني إسرائيل، الذين تعنتوا لنبيهم من بعد سيدنا موسى -عليه السَّلام- وقالوا: اختر لنا قائدًا للحرب فقد صممنا على طرد عدونا واسترداد أرضنا، فقال لهم: أتوقع منكم التَّخلي عن القتال إن كتب عليكم، فردوا عليه بالأدلة

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٤٧٤.

(٢) ينظر: عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، صـ١٧، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، جـ٤/٤٩٧.

(٤) ينظر: الكشاف جـ١/٤٧٦.

والحجج، فقد أخرجنا من ديارنا وأوطاننا، وكانت النتيجة تولوا إلا المؤمنون[١] الذين طلبوا من ربهم الصَّبر والثبات والنَّصر.

وهؤلاء ملأ اليقين قلوبهم، فقد قالوا في نهاية الآية السَّابقة ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [جزء من آية: ٢٤٩ سورة البقرة]، فكان هذا الإقرار بأنَّ الله مع الصَّابرين مجاوزًا حدود الزَّمان والمكان ومتسعًا لطلبهم الثبات، في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾.

وإذا توقفنا مع الصَّبر الذي مهدوا به للثبات، نجد أنَّه هو الأليق بالمقام؛ لأنَّه قلب الثَّبات والنَّصر، وهو عدة القتال الأولى، وضبط النَّفس فلا تجزع، وبه تتبدد قوى العدو مهما تكاثرت[٢] وبهذا يحملهم على المداومة والتَّواصل وعدم تفكك العرى بينهم وبين ربهم، فيلهمهم الثبات.

والتعبير بـ(البروز) في جملة: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ له دلالة متعانقة مع الثبات المقترن بالصَّبر؛ لما يرجع أصل البروز إلى "بَرَزَ الشَّيْءُ فَهُوَ بَارِزٌ، وَكَذَلِكَ انْفِرَادُ الشَّيْءِ مِنْ أَمْثَالِهِ"[٣] وهذا مما يشير إلى مواجهة مخصوصة من قوم منفردين عن غيرهم، فقد كانوا

---

(١) ينظر: السابق جـ١/ ٤٧١.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير أحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، جـ٢/٩٠، دار النشر: دار الفكر العربي، د.ط.ت.

(٣) مقاييس اللغة جـ١/٢١٨.

مدربين معتادين النَّصر(١)، وهذا يقتضي طلب الثبات الذي جاء في جملته مقترنًا بالصَّبر العظيم.

وفي استهلال دعائهم بفعل القول ﴿قَالُواْ﴾؛ أعطى شدة عناية بخبرهم؛ لأنَّه يدل على العناية الصَّادقة بالشيء(٢)؛ لذا عمدوا إليه لأنَّه يعكس مدى عظم ما طلبوه من ربهم، وجعلوه في مقامه اللائق به.

وقد ناسب المقام النِّداء بـ﴿ رَبَّنَآ ﴾؛ لأنَّ (الرَّب) هو الملك والسَّيد والمربي، والمتكفل بمصلحة الموجودات(٣)؛ وحذْف حرف النِّداء إشعار بقربهم من ربهم فلا حاجة إلى مد الصَّوت، فأزالوا الحواجز بينهم وبينه، وهذا متناسب مع المناجاة، وإظهار الضَّراعة والخشوع، الذي مكنهم من الصَّبر والثَّبات والنَّصر؛ لاعترافهم بين يديه بأنَّه القادر الغالب، فكان حري بالإجابة.

كما أنَّ التَّعبيرَ بـ(ربنا) "للإيذان بأنَّ الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين"(٤)، فكان تمهيدًا بما أرادوه من الثبات.

و﴿ الإفراغ ﴾في جملة: ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾من تمام معنى الثبات؛ لأنَّ الإفراغ معناه: الصَّب، يقال: أفرغ الدلو: أي: صُب ما فيه(٥)، وهو على سبيل الاستعارة التمثيلية؛ حيث شبه حال المؤمنين في

(١) ينظر: زهرة التفاسير جـ٢/٩٠٥.
(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن صـ٦٨٨.
(٣) ينظر: السابق صـ٣٣٦.
(٤) الكتاب: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، جـ٩/٨٤٥، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١/، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ٦٣٢.

إفراغ الله -تعالى- عليهم الصَّبر فشملهم ظاهرًا وباطنا، وقوَّم معوجهم بحال من صبّ عليه الماء البارد فارتوى وثلج صدره، وجسده.

وآثر النظم القرآني الاستعارة؛ لأنها تجعل المتلقي "يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، إذ تصور المنظر للعين وتنقل الصورة للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموسًا محسوسا"(١) لذا اصطفاها النَّظم القرآني لما لها من القدرة في مواجهة السَّامع بالمعنى والتأثير فيه.

ويتأنق النَّظم القرآني في التعبير بحرف الاستعلاء في: ﴿عَلَيۡنَا﴾ لما له من دلالة واضحة على قوة الصَّبر التي طلبوها من ربهم فقد أرادوا أن تخترق قلوبهم ظاهرًا وباطنا.

ولأنَّ طريقهم في القتال مليء بالمعوقات من داخل النَّفس وخارجها جاء ﴿الصَّبر﴾منكرًا بصيغة المصدر مع تنوينه في جملة: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا ﴾، ليعكس شدة ما تعرضوا له من نار الفتنة، من جالوت الذي ذاق بني إسرائيل من الذل والهوان كؤوسا(٢) ومن ناحية أخرى عدم شربهم من النّهر(٣)، الذي قابلهم، وهذا أصعب وأشد ما يبتلى به

(١) التعبير الفني في القرآن د/بكري شيخ أمين، صـ١٩٥، الناشر: دار الشروق – بيروت، ط٢/١٩٧٦م.

(٢) هو: جالوت، "وهو من قواد الفلسطينيين اسمه في كتب اليهود جليات كان طوله ستة أذرع وشبرا، وكان مسلحا مدرعا، وكان لا يستطيع أن يبارزه أحد من بني إسرائيل، فكان إذا خرج للصف عرض عليهم مبارزته وعيرهم بجنبهم" التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، جـ٢/٤٩٨. الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٣) قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الجيش في الحر والعطش، ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ المحاربَ إذا أشبع شهوته في شرب الماء يثقل ويقل نشاطه، فكان في الامتناع حكمة أن لا تنحل قواهم ويتبدد نشاطهم[(١)]، ولذا كان الصَّبر الذي جاء منكرا، والذي مهدوا به للثبات هو الألصق بالمقام؛ لأنَّه معالج إنساني خطير يستطيع أن ينتزع من قلب العبد كل عائق بينه وبين الطريق الصحيح، ويثبته عليه، ويعطيه القدرة على تحمل الأثقال، وتغلب الشهوات، ولا يكون الثبات إلا به ولذا جاء الثبات بعده : ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، وهذه الجملة داخلة في معنى الجملة قبلها؛ لأنَّ ثبات الأقدام من إفراغ الصَّبر عليهم.

ومجيء الثبات في جملته في صيغة الأمر، الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو الدعاء؛ مطابق لشعورهم النَّفسي، كاشف عن مدى حرصهم على إرضاء الله –تعالى– وقهر عدوهم، فأرادوا الأمان والحفظ من الضَّياع بـ(الثبات) والصبر؛ ليعوضوا من خلاله ما اعتراهم من ذل وضعف.

"وثباتُ القدم عبارة عن كمال القوةِ والرسوخِ عند المقارعة وعدمِ التزلزل وقت المقاومة"[(٢)]، وجاء في أسلوب مجازي علاقته الجزئية؛ حيث عبَّر بالجزء (القدم) وأراد الكل، وإنَّما أُوثِر (القدم)؛ لما لها من مزيد اختصاص بالحركة والتَّقدم والتَّأخر والفرار من القتال، ومجاوزتها الشدة والهول؛ لذا كان التَّعبير بها الأنسب مع ثبات المؤمنين الصَّادقين.

والمتأمل في جملة: ﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يجد أنَّها امتدادٌ طبيعي للصبر والثَّبات، وهي تصل بالثبات إلى أعلى مراتبه، وهو نصر الله –تعالى، والمجيء بها معطوفة على (الثبات) بالواو؛ للتوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الإنشائية لفظا ومعنى، وقد أفادت هذه

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير جـ٢/٤٩٦.

(٢) تفسير أبي السعود جـ١/٢٤٤.

الجملة اعترافهم بأنَّه -سبحانه- هو القادر المهيمن، الذي يُلجأ إليه في كل شيء، وهو المستحق للعبادة، فأفصحت بدورها عمًّا في نفوسهم من ضرر، وبيَّنت المقصد من طلبهم بالإقبال، وهو النَّصر والثبات.

وقد اشتملت على حشد من المعاني، تآزر مع معنى الثبات، فالفعل (نصر) في (انصرنا) يعطي الثبات قدرًا من العناية، لأنَّه متسع يشمل النَّصر في كل شيء، وهذا ما يفصح عنه أصل: (نصر) فهو "يَدُلُّ عَلَى إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ، ويدل على الظَّفر على العدو والانتقام"(١)، وقال عنه الإمام الراغب: "النَّصر والنُّصرة: العون"(٢)، وإذا أعان الله -تعالى- وقعت جيوش الكفر هباء، ولم تزل قدم للمؤمنين أبدا.

وإذا تأملنا حرف الاستعلاء (على) نجد أنَّه يكشف عن شدة الثبات التي تقهر قوى العدو وتبدد كلمتهم، لما يدل عليه من استعلاء النَّصر، وعلو مكانته ومقامه، وثباته وتمكنه منهم دون غيرهم.

وإذا تدبَّرنا إيثار النَّظم القرآني ﴿ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ دون (جالوت وجنوده)؛ للإشارة إلى شمول نصرهم وعمومه على كل كافر وجبَّار، وشتَّان بين النَّصر على فرد بعينه، وبين النَّصر على كل شيء، فالنَّصر على كل شيء يخرجهم من كل ذي سلطان سوى الله -تعالى- والنَّصر بهذه الصورة يتيح للثبات التمكن من قلوبهم فضل تمكن.

وبهذا نجدهم قد جمعوا ألوان الأدب وحسن التَّرتيب؛ حيث صدروا دعاءهم بالتوسل بوصف الربوبية فقالوا رَبَّنا أى: يا خالقنا ويا منشئنا ويا مربينا ويا مميتنا، وفي ذلك إشعار أنَّهم يلجئون إلى من بيده وحده النَّفع والضر، والنَّصر والهزيمة، ثم افتتحوا دعاءهم بطلب الصَّبر عند المخاوف لأنَّه هو عدة القتال الأولى، وركنه الأعلى، إذ به يكون ضبط النفس

(١) مقاييس اللغة جـ٥/٤٣٥.
(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٨٠٨.

فلا تفزع، وبه يسكن القلب فلا يجزع، ثم التمسوا منه- سبحانه- أن يثبت أقدامهم عند اللقاء لأن هذا الثبات هو مظهر الصَّبر، ووسيلة النصر، وعنوان القوة، ثم ختموا دعاءهم بما هو ثمرة ونتيجة للصبر والثبات وهو النصر على الأعداء(١).

وإذا تأملنا الجمل الثلاث التي تعانق فيها الثبات، نجد أنَّ بينها مراعاة نظير، فهم من وادٍ واحد جمع بينهم النَّظم القرآني لبيان أنَّه لا غنى لأحد منهم عن الآخر، فالصبر قوة لا تغلب، والثبات قوة لا تقهر، والنَّصر يتوجهما، وكأنَّ كل جملة تأخذ بعناق الأخرى في تناسب تام.

وبهذا يكون الصَّبر والثبات صنوين لا يفترقان، لأنَّهما من مشكاة واحدة، يتعانقان؛ للوصول إلى النَّصر على كل قوة تهدد كيان المؤمنين، فمن أُشربت روحه الصَّبر الجميل الذي لا شكوى معه، استشعر حلاوة الثبات، ونعم به، وازداد به اطمئنانًا، ولم تزلزله العواصف مهما انتشرت الرذيلة، وحوربت الفضيلة، وطغى المتجبرون في الأرض، فقدمه ثابتة، وقلبه ورع مطمئن بالله.

الموضع الثاني:

من بلاغة النظم القرآني في مصاحبة الثبات للإنفاق في سبيل الله:

لمَّا غلبت الدنيا على قلوب العباد، فجعلتها مظلمة، لأنَّهم رأوا أنَّ معيار التَّفاضل بين النَّاس هو المال، وصاروا يتصارعون في تحصيله، ويحبونه حبًا جمًا، مدح الله -تعالى- عباده المؤمنين الذين ينفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله وتثبيتًا من أنفسهم؛ لأنَّ بذلَ المالِ يطهر المجتمع من الغل والحقد والحسد، ويحفظ له تماسكه، ويستأصل من جنباته المنازعات، فتتوحد الكلمة وتتآلف القلوب؛ لذا جاء الثبات مصاحبًا لإنفاق المال لما له

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، جـ١/٥٧٣، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١/١٩٩٧م.

من هذه الأهمية العظمى، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥].

والثَّبات -هنا- ثبات معنوي، وهو: تحقيق الإيمان وترسيخه، بترويض النَّفس على بذل المال في سبيل الله، وقلة طمعها، وإثبات جزائها[١]، والثبات بهذا المعنى متناسب مع مقصود السُّورة الأعظم، الذين يدعو إلى الإيمان بالغيب[٢]، والذي بدوره يستجمع إقام الصَّلاة، وبذل المال دون رياء.

ومجيء الثبات على صيغة المصدر (تثبيتًا) على وزن (تفعيل) يشير إلى التدرج في الفعل، وترويض النَّفس، بحملها على الإنفاق، فلا تتردد في العطاء، فيهبها الله -تعالى- التثبيت ويمنحها الأمان النفسي، ولذا يرى الإمام بن عاشور أنّ التثبيت يشير إلى أن الإنفاق يثبّت النفس بأخلاق الإيمان، وعليه تكون لفظة (تثبيتاً) تحريضاً على تكرير الإنفاق[٣].

وبهذا يكون مجيء الثبات على صيغة المصدر (تثبيتًا)؛ موضحا لحال المؤمنين الذين ءامنوا بالغيب، وتركوا هاجس البخل، ونظروا إلى

(١) ينظر: الكشاف جـ١/٤٩٦.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، جـ١/٥٥، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د/ط.ت.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير جـ٣/٥٢.

أنفسهم بحب أعمق، لا أحمق، على حد قول الإمام الشَّعراوي(١)، فوصلوا بذلك إلى ابتغاء مرضاة الله.

وإذا نظرنا إلى الآية الكريمة نجد أنَّها جاءت معطوفة على ما قبلها؛ لأنَّ فحواها مقابلٌ لحال المتجبرين البخلاء(٢)، الذين يريدون علوًا في الأرض وإفسادًا، فجاءت بالعطف؛ لتوضح للمتلقي البون الشَّاسع بين الحالين، حال الثابتين على الإيمان، والمتأرجحين، فيعي المتلقي أنَّ الإنفاق دون رياء هو عين الثبات وقطب رحاه.

ومن الواضح أنَّ النَّظم القرآني قد عرَّف المسند إليه ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بالموصولية؛ زيادة في التقرير عليهم بما في جملة الصلة، ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فهذه الجملة أبرزت نية الإنفاق، فهو ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتا لأنفسهم على الإيمان، ولو بأغلى ما تحب النَّفس وتشتهيه، كما أنَّ هذا التَّعريف مكَّن النَّظم من إجراء الأوصاف عليهم، وبيان أثر الثبات على نفوسهم.

وتأكيدًا لهذا الثَّبات، جاء التَّعبير بالمضارع في جملة الصِّلة ﴿يُنفِقُونَ﴾ ليدلُّ على أنَّ هذا الإنفاق ديدنهم وحاضرهم ومستقبلهم، وفيه إشارة أيضًا إلى أنَّهم نزعوا من أنفسهم زمام القيادة، وجعلوه لمرضاة الله – تعالى– تفعل بهم ما تشاء، فكانت هي المسيطر والمهيمن عليهم، فَعَبَرت بهم كل طريق يصلوا به إلى أعظم مطلوب، وأفضل مرغوب.

---

(١) ينظر: تفسير الإمام الشعراوي جـ٢/١١٥٦.

(٢) قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

واصطفاء التَّعبير بالمفعول لأجله ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ له دلالة متعانقة مع أثر (الثَّبات) الذي أرادوه لأنفسهم، وذلك لأنَّ (البغي): "تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التَّطوع"[1]، فكانوا بذلك متحررين من رأس كل خطيئة، وهو حب المال والتَّعلق به، فحق لهم الثبات في الدنيا والآخرة.

كما أنَّ المد في ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ أكَّد هذا المعنى ودلَّ على اتساعه، بما فيه من تسليط على رغباتهم في رضا الله –تعالى– المتوالية المصحوبة بزفرات قلوبهم، وكل ذلك راجع إلى المد المتسع في هذه الكلمة، المتناسب مع المعنى.

وإضافة الرضا إلى الله –عزَّوجل:﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أضاف إلى تثبيتهم أمرًا عظيمًا؛ لدلالته على أنَّ إنفاقهم عريٌّ من المن والأذى، والشوائب الموجبة للخلل[2]، وإذا نازعتهم أنفسهم بالتردد بين المنع والعطاء، لم تخف على مصيرها في الدنيا، وتشتاق إلى ثوابها في الآخرة، وتظل مستجيبة لأوامر خالقها، فيمنحها التثبيت في أعلى صوره.

ومجيء﴿مَرۡضَاتِ﴾ مصدر ميمي على وزن (مفعلة) لتكرر رغباتهم في رضا الله –عزّوجل– ودوامه؛ لتحقيق إيمانهم، وإثبات جزائهم.

ويأتي المعقد الذي يدور حوله المعنى في قوله تعالى: ﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ معطوفًا على: ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾، وإذا نظرنا إليه نلحظ أنَّ له حركة، زادت المعنى إجلالا، وتصاعدت بسمو منزلة المؤمنين، فهم يُثَبِّتُون أنفسهم بثوابت حقيقية راسخة، تمكنهم من رضا الله تعالى.

---

(١) المفردات في غريب القرآن صـ١٣٦.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ٤/٨٢.

وإذا تدبَّرنا في اقتران إنفاق المال بتثيته بالنفس، نجد أنَّه معادلٌ للقتال في سبيل الله –تعالى؛ (لِأَنَّ التَّثَبُّتَ هُوَ الْقُوَّةُ وَالْمُكْنَةُ وَضِدَّهُ الزَّلْزَلَةُ وَالرَّجْفَةُ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ جِنْسِ الْقِتَالِ فَالْجَبَانُ يَرْجُفُ وَالشُّجَاعُ يَثْبُتُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَأَمَّا الْخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ وَاخْتِيَالُهُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّدَقَةِ"(١) لِأَنَّهُ مَقَامُ ثَبَاتٍ وَقُوَّةٍ فَالْخُيَلَاءُ تُنَاسِبُهُ وَإِنَّمَا الَّذِي لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ الْمُخْتَالُ الْفَخُورُ الْبَخِيلُ الْآمِرُ بِالْبُخْلِ فَأَمَّا الْمُخْتَالُ مَعَ الْعَطَاءِ أَوْ الْقِتَالِ فَيُحِبُّهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أَيْ لَيْسَ الْمُقَوِّي لَهُ مِنْ خَارِجٍ كَالَّذِي يَثْبُتُ وَقْتَ الْحَرْبِ لِإِمْسَاكِ أَصْحَابِهِ لَهُ) (٢).

وحرف الجر (من) في: ﴿ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ يجوز أن يكون تبعيضيًا على حد قول الإمام الزمخشري، وقد يكون لابتداء الغاية، والمعنى على الأول: أنَّ من أنفق ماله فقد ثَبَّتَ بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه فقد ثبَّتها كلها قال تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ⑪ ﴾ [جزء من آية: ١١، الصف]، والثاني: تثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنَّها صادقة في الإيمان مخلصة فيه(٣)، وقد ذهب إليه الإمام الرازي إلى أنَّ ثبات النَّفس، واطمئنانها، لا يحصل بالإنفاق، لكن بالإنفاق

---

(١) سنن أبي داود جـ٣/٥٠، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ومسند أحمد، سند الإمام أحمد بن حنبل جـ٣٩/١٦٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، جـ١٤/٩٥، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) ينظر: الكشاف جـ١/٤٩٧.

المقترن بعبودية الحق، فهناك يطمئن القلب، وتستقر النَّفس، ولم يحصل منازعة مع القلب، ولذا قُدِّم مع الإنفاق قوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1]؛ ليكون التثبيت بالغًا بصاحبه الغاية والمنتهى.

ويمضي النَّظم القرآني في بيان أثر الثَّبات على النُّفوس المؤمنة، في تشبيههم تشبيهًا تمثيليًا في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ﴾؛ حيث شبَّه من ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله – تعالى– خاليا من النِّفاق والرِّياء، كمثل جنة، وقُيِّد التَّشبيه، بربوة، أي: بستان عظيم كائن في مكان مرتفع آمن[2] من تعرضه لأي شيء يبدد كيانه، أو يفسد منظره، فالبستان في الأماكن العالية جميل المنظر، يَسُر النَّاظرين، سالمًا من كثافة البرد، وشدة الرِّياح، أمَّا الأماكن المنخفضة، فتكون أكثر عرضة لمخاطر الرياح، وشدة البرد[3]؛ لذا آثر النَّظم القرآني هذا التشبيه بهذا القيد؛ ليكون أكثر مدحًا للمؤمنين المخلصين، ومتناسبًا مع معنى الثبات المعنوي، الذي أدى بالمؤمنين إلى أن يكونوا معقد الحديث في السَّورة الكريمة، فقد صدَّقوا بفعلهم معقد السُّورة، وهو الإيمان بالغيب.

ولم يتوقف النَّظم القرآني عند هذا الحد من التَّشبيه، والتَّفضيل، بل فصَّله تفصيلًا، ليوضح معنى الثَّبات وأثره على النُّفوس المؤمنة، في قوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ﴾، والوابل: "المطر الشَّديد"[4]، والتَّعبير عنه بـ(الإصابة) متعانق مع الثَّبات؛ لأنَّ الإصابة: يعبر

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للإمام الرازي جـ٧/٦٠، الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط١/١٤٠١هـ –١٩٨١م.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، صـ ٣٤٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود جـ١/٢٥٩.

(٤) مقاييس اللغة جـ٦/٨٢.

بها عن نزول المطر بقدر ما ينفع"[١]، فتكون هذه الجنَّة في مأمن وعطاء لا يمسها سوء، ونلمح من وراء هذا، أنَّ هؤلاء المؤمنين بقدر نفقتهم العارية من النِّفاق، بقدر ما يُثبتون أنفسهم، ويحفظونها آمنة مطمئنة برضوان الله – تعالى– فيكون الجزاء والعطاء ضعفين كما تقرر في الخبر عنهم في جملة: ﴿ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ﴾، واصطفاء (الإتيان) يدل على عظيم ثبات المؤمنين، وسمو مكانتهم عند الله –تعالى– لما في الإتيان من سهولة لقدرة الفاعل عليه[٢]، وكأنَّ إنفاقهم المتحرر من النِّفاق، قد هيأ لثوابهم وثباتهم وثمار جنتهم بالضعف، بل بالأضعاف التي يؤتيها الله –تعالى– لمن يشاء كل ذلك في سهولة ويسر.

وقد تعانق مع ذلك تعبير النَّظم القرآني بـ(الأكل) دون غيره، لأنَّ الأكل: "حقيقة بلع الطَّعام بعد مضغه"[٣]، فتكون بذلك جاهزة للآكلين، فلا يجنى من ثمارها تالف ولا هالك، وبهذا يكون الثَّبات في زمن المتغيرات قد وصل إلى منتهاه، والصِّدق في ابتغاء مرضاة الله شارف أعلاه.

ونظرًا لصدق هؤلاء المؤمنين في ثبات أنفسهم على الإيمان، جاء النَّظم متلذذًا بالحديث عنهم، فأطنب وفصَّل في تشبيههم في جملة: ﴿ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فكان هذا التَّنويع، لتوضيح عظيم مكانتهم في ثبات الإيمان وثبات الأجر.

والتَّعبير بالطَّل، يدل على مدى رضوان الله –تعالى– عليهم، ومدى ثباتهم؛ لأنَّ الطَّلَ: "أضعف المطر، وهو ماله أثر قليل"[٤]، فهذه الجنَّة

---

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٤٩٥.

(٢) ينظر: السابق، صـ٦٠.

(٣) المصباح المنير العباس، جـ١/١٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن صـ٤٩٥، وذكر صاحب نظم الدرر، أنَّ الطل: هو =

الطَّيبة الصَّادق أهلها، إن لم يصبها مطر شديد فقليل المطر يكفيها لتؤتي أكلها، لسلامة منبتها.

وبذلك يكون الثبات، قد أتى بثماره في المعنى، فالجنَّة إن جلَّ مطرها أو قل، تؤتي أكلها، ما دام منبتها صحيحًا، وكذلك نفقات المؤمنين ما دامت خالصة لوجه الله -تعالى- ثبَّتتهم، ورفعت درجاتهم، فأعمالهم لا يتطرق إليها فساد أبدا، لصلاح نيَّاتهم على حد قول الإمام البقاعي(١).

ثمَّ ختم الله -تعالى- الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، تهديد صريح، وتحفيز صريح؛ لأنَّها قد فتحت الأبواب لكل ما مضى من الذي ينفق ماله رئاء النَّاس، فبيَّنت دعواه الباطلة، ونيَّته الخبيثة، وحفَّزت المؤمنين الصَّادقين، ورغبتهم في العمل الصالح، والثَّبات على الإيمان، وحذَّرت كل نفسٍ منافقة من غضب الله تعالى.

والنَّاظر إلى مجيء المسند إليه معرفًا بالعلمية (الله) يجد أنَّه متعانق مع معنى الثَّبات؛ لأنَّ هذا اللفظ الظاهر له من المهابة في النُّفوس ما له، والمؤمنون الصادقون قد عرفوه حق معرفته، فانقادوا لأمره، وثبتوا على حقه وشريعته.

وفي مجيء الخبر (بصير) على وزن (فعيل)؛ إشارة إلى مدى علم الله -عزوجل- وإحاطته بكل ما يكون من العباد صغر أم عظم، واختصاصه -سبحانه- بهذا دون غيره.

=

الندى الذي ينزل في الضباب، والطل سن من أسنان المطر خفي لا يدركه الحس حتى يجتمع، فإن المطر ينزل خفيا عن الحس وهو الطل، ثم يبدو بلطافة وهو الطش، ثم يقوى وهو الرش، ثم يتزايد ويتصل وهو الهطل، ثم يكثر ويتقارب وهو الوابل، ثم يعظم سكبه، وهو الجود، ينظر: نظم الدرر جـ٤/٨٤.

(١) ينظر: نظم الدرر جـ٤/٨٥.

وبهذا يكون الثَّبات في زمن المتغيرات قد جاء معبرًا عن الأمن النَّفسي والمعنوي الذي يحظى به المؤمن، عندما ينفق ماله مبتغيًا مرضاة الله -تعالى- وطاعته، فيأمن من الحيرة والضَّلال، والتَّغير في الدنيا الذي يهاجم بسطوته كل شيء، ويسلم من العذاب في الآخرة، فيعيش في أمن بينه وبين نفسه.

الموضع الثالث:

لمَّا كان الإنفاق في سبيل الله دون رياء هو الغرض الأسمى للآية السَّابقة، وهو قطب الرَّحى في الثَّبات، والتَّأييد، بيَّن النَّظم القرآني في هذه الآية أنَّ الثباتَ لا يكون ثباتًا إلا إذا اقترن بمغفرة الذُّنوب، لما لها من خطورة عظيمة؛ حيث تقف حدًا مانعًا بين العبد وربه؛ لذا جاء الثبات مصاحبًا لغفرانها في آية سورة آل عمران، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٧].

وهذه الآية امتداد طبيعي لمقصود السُّورة الأعظم، الذي يدعو إلى التَّوحيد، والصَّبر والاستغفار، والدعاء والقنوت[(١)]، الذي يؤدي إلى ثبات القلوب والأقدام.

والثبات -هنا- ثبات حسي، وهو بمعنى: "تثبيت الأقدام في مواطن الحرب، والنَّصرة على العدو"[(٢)] وجاء مقرونًا بمغفرة الذنوب، والإسراف في الأمر، والنَّصر على القوم الكافرين، لأنَّ كلا منها عالمٌ من المعنى يفتح الباب للثبات.

وأتى في أسلوب قصر إضافي؛ لرد اعتقاد من يقول إنَّ المؤمنين الصَّادقين قد أصابهم الجزع، والشك في نصر الله -تعالى- وهذا القصر

---

(١) ينظر: نظم الدرر جـ٤/١٩٥.

(٢) الكشاف جـ١/٦٣٨.

تعريض بالذين جزعوا من ضعاف القلوب[1]، واعتراهم الشك في نصر الله، وأوثر فيه طريق (النفي والاستثناء)؛ لأنَّ هذا الطريق "ذا نبرة حادة، ونغمة حاسمة، وتعبير شديد"[2] يستأصل كل ما يتسرب إلى نفوس سامعيه من شك أو غرابة، وبذلك أفحم المنافقين، وأثبت لهم أنَّ المؤمنين المخلصين لم يتسلل إلى قلوبهم إلا اليقين، والتَّضرع إلى الله -تعالى- أن يثبتهم على الإيمان وفي ميادين القتال.

وفي تصدير دعائهم بمغفرة الذنوب؛ لبيان خطر الذنوب، إذ إنَّها تقف حدًا مانعًا من الثبات والنَّصر على كل كافر جبَّار.

ولمَّا كان معنى الغفران: "أن يصون الله العبد من أن يمسّه العذاب"[3]، وكان يقتضي أيضا: "إِسْقَاط الْعِقَاب"[4]؛ لذا كان متناسبًا مع الثبات، وألصق به، لما يدل عليه من محو وإزالة الأثر مع المحافظة على العبد من العذاب أو الضرر.

ومجيء الجار والمجرور (لنا) متعلق بـ(اغفر) أعلق بالثبات؛ لأنَّه يوضح أنَّ جل اهتمامهم أن يغفر الله -تعالى- لهم ذنوبهم، وكأنَّها لم تسط على أحد غيرهم، وهذا ألصق بالثبات وتمكنه من قلوبهم، وعدم فرارهم.

ثمَّ ثنى النَّظم القرآني بعطف جملة أخرى على مغفرة الذنوب، في: ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا ﴾، وهذه الجملة عالم من المعنى تآزرت مع الجملة الأخرى، لتمكنهم من الثبات فضل تمكن، لأنَّها انتقلت إلى الدرجات التي

(١) ينظر: التحرير والتنوير جـ٤/١٢٠.

(٢) دلالات التراكيب، د: محمد أبو موسى، صـ١٢٢ النَّشر: مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٤/١٤٢٩-٢٠٠٨م.

(٣) المفرادت في غريب القرآن صـ٦٠٩.

(٤) الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، صـ ٢٣٥، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

أرادوها في الثبات، فمغفرة الذنوب ترتقي بثباتهم درجات ودرجات، والتجاوز عن الإسراف في الأمر قطعة من مغفرة الذُّنوب، فهي تَرَق آخر في الثبات.

والناظر في هذه الجملة: ﴿ وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾ يجد هذا جليًا لأنَّ (الإسراف) هو "تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان"(١)، لذا خُصَّ من جنس مغفرة الذنوب، وهو من باب عطف الخاص على العام، وجاء معطوفا بـ(الواو) لما تفيده من التشريك في الحكم فكما أنَّ مغفرة الذنوب قطب الرَّحى في الثبات كذلك التجاوز عن الإسراف في الأمر قطب آخر، ومعقد قائم عليه الثبات، ومعروفٌ أنَّ (الواو) تفيد المغايرة، وعليه فقد يُتوهم أنَّ مغفرةَ الذنوبِ شيء مغاير للإسراف في الأمر ولا تأثير له في الثَّباتِ، فكان دخولهما في حيز واحد يقتضي نفي المغايرة، فمغفرة الذنوب والإسراف في الأمر من مشكاة واحدة، وإنَّما جاء العطف بـ(الواو) للتنبيه على الإحاطة الشاملة بكل شيء يحول بينهم وبين الثبات على الإيمان وفي ميادين القتال.

وإذا نظرنا إلى حرف الجر (في) نجد أنَّه يدل على التمكن في هذا الإسراف، والتغلغل في أطوائه، كما أنَّ مجيء الأمر منكرًا، إشارة إلى عظم هذا الإسراف، وعلى هذا فالإسراف في الأمر يؤدي إلى زلزلة القلوب والأقدام، ويبخر معنى الثبات الذي يحيا به المؤمن في أرض الإيمان.

وإذا تجاوز الله -تعالى- عن كل هذا يفسح الطريق لثباتهم واضحًا ممهدًا؛ لذا جاء الثَّبات بعد التمهيد له بمغفرة الذنوب، والإسراف في الأمر، ليكونَ الثبات لا يزل فيه عمل عامل من ذكر أو أنثى.

ومن هنا ندرك أنَّ مغفرة الذنوب، والتجاوز عن الإسراف في الأمر من تمام ثبات الأقدام، وترسيخ العقائد في النُّفوس؛ لأنَّه قارب النَّجاة لمن

---

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٤٠٧.

أراد الثبات والنَّصر، وليس هذا فحسب، بل هو متمكن من كل من اتَّبع تعاليم السَّماء.

الموضع الرابع:

قال تعالى:﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ﴾ [الأنفال: ١١، ١٢].

يتجلى الثَّبات -هنا- واضحًا بمعناه الحسي والمعنوي، ويعبر عن جلالة أقدار المؤمنين عند ربهم، فقد ظهرت معالمه واضحة بتأييد الله -تعالى- لهم، والربط على قلوبهم، وهذه المعالم هي قلب معنى الثبات، وقطب رحاه.

وقد وردت الآيتان في سياق الحديث عن غزوة بدر، وكان أول لقاء من المؤمنين بقريش، ومن الطبيعي أن يتأهبوا لهذا اللقاء، ولكن كانوا قليلي العدد والعدة، مع كثرة العدو وعدتهم، فأيَّدهم الله -تعالى- بعزته، وقدرته، ووضح لهم أنَّ الثباتَ والنَّصر وإزالة الوهم والخوف لمن صبر واتقى[(١)].

وأول ما يسترعى الانتباه هو ما مهد به النَّظم القرآني لتثبيت المؤمنين، بجملة:﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾، وجاءت مفصولة؛ لبيان حالهم بعد استجابة الله -تعالى- لهم، وتجلي تأييده لهم في صورة واضحة.

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، جـ١/٧٧٥، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط١/ ١٤٢٢ هـ.

ومجيء ﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ بالمضارع لاستحضار الحالة الماضية في ذهن المتلقين، وبيان مدى فضل الله -عزَّوجل- على المؤمنين، فيهيء لهم الوقوف على الذي به التقوى والصلاح، والمنزلة الرفيعة، والنَّصر والتأييد، والذي جاء متمثلا -هنا- في (النَّعاس)، والنُّعاس: "النَّوْمُ القليلُ، يحدث به السُّكُونِ والهُدُوِّ"(١)، ويستعيد به الجسم القوة والقدرة على الحركة، وبهذا يستطيعون أن يواجهوا عدوهم وهم بكامل نشاطهم، واستعدادهم، ويؤكد ذلك إسناد الغشيان إلى الله -عزَّوجل- يقول الإمام الرازي: "فَتَخْصِيصُ هَذَا النُّعَاسِ بِأَنَّهُ مِنَ اللَّه تَعَالَى لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ مَزِيدِ فَائِدَةٍ، منها: أَنَّ الْخَائِفَ إِذَا خَافَ مِنْ عَدُوِّهِ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ عَلَى نفسه وأهله فإنَّه لا يؤخذه النَّوْمُ، وَإِذَا نَامَ الْخَائِفُونَ أَمِنُوا، فَصَارَ حُصُولُ النَّوْمِ لَهُمْ فِي وَقْتِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ يَدُلُّ عَلَى إِزَالَةِ الْخَوْفِ وَحُصُولِ الْأَمْنِ...كما أنَّ حُصُول النُّعَاسِ لِلْجَمْعِ الْعَظِيمِ فِي الْخَوْفِ الشَّدِيدِ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ النُّعَاسَ كَانَ فِي حُكْمِ الْمُعْجِزِ"(٢)، فحصل به التثبيت في أعلى مراتبه.

ويتعانق مع ذلك المفعول لأجله في: ﴿أَمَنَةً﴾؛ لأنَّ الأمن: "طمأنينة النَّفس وزوال الخوف"(٣)، والحزن، واستعادة الشجاعة، فيحدث بذلك الأمن، والقوة في المواجهة.

ومجيء الجار والمجرو: ﴿مِّنۡهُ﴾ في: ﴿أَمَنَةً مِّنۡهُ﴾؛ "لتشريف ذلك النُّعاس، وأنَّه وارد من جانب القدس، فهو لطف وسكينة ورحمة

---

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٨١٤.

(٢) مفاتيح الغيب، للإمام فخر الرازي، جـ١٥/١٣٦، ١٣٧، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، ط١/١٤٠١هـ -١٩٨١م.

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ٩٠.

ربَّانية"[١]، وهذا بدوره يصل بالثبات إلى المنتهي؛ لأنَّه ليس أعظم من أن يكون الثبات من الله –تعالى– فتستكين به النَّفس، ويشتد أزرها، ويتبخر عدوها.

وتأكيدًا لذلك حرف الجر (من) فهو ابتدائي، أي أنَّ هذا الفضل الذي حدث به التثبيت إبتدائي من الله –تعالى– الذي يجير ولا يجار عليه، فما بالنا إذا توالى عليهم تأييد الله –تعالى– برحماته، وأحاط بهم من كل جانب.

وتأتي جملة: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ لتعطي إشباعًا في معنى الثبات، حيث جاءت معطوفة على: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾؛ لاتفاق مضمونهما، وتعانقهما على معنى التثبيت، فغشيانهم النَّوم أمنا ونشاطًا وتأييدًا، وزوالا للخوف والقلق، وتثبيتًا لهم، ونزول المطر "لبَّد لهم الرمل وسهل عليهم المسير، وأصاب المشركين ما زلق أرضهم حتى منعهم المسير"[٢] ، فكان تثبيتًا فوق معناه.

وإذا أبحرنا في التقاط بعض بلاغة النَّظم القرآني، لإشباع النَّفس وامتاعها حسا ومعنى، نجد أنَّ النَّظم القرآني عبَّر بـ﴿ وَيُنَزِّلُ ﴾ بالتَّشديد، الذي يعطي إشباعًا في معنى النزول بتوالي رحمات الله، وفضله على المؤمنين، فكان نزولا فيه كل معاني التثبيت، وتسكين القلوب، والتعبير بـ ﴿عَلَيْكُم ﴾ في جملة: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يؤكد ذلك ويأخذ بعناقه، فهو نزول استعلى على كل شيء، وغشيهم وتغلغل في

(١) التحرير والتنوير جـ٢٧٩/٩.

(٢) نظم الدرر، للإمام البقاعي ، جـ٢٣٥/٨، النَّاشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د .ط.ت.

أطوائهم، حتى طهرهم ظاهرًا وباطنا، وثبتهم حسًا ومعنًا، وما وراء ذلك إلا تأييد الله تعالى.

وفي ذكر السَّماء، ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ وكان يمكن الاستغناء عنه بقوله: (وينزل عليكم ماء ليطهركم به)؛ للإشارة إلى أنَّه تنزيل فيه تقديس وتشريف، وتأييد، وقد يكون على غير ميعاده، فكان إفحامًا للذين يقولون للذين ءامنوا أنَّهم ليس فيهم نبي، وأنَّهم ليسوا أولياء لله.

كما أنَّه تمهيدٌ لما ينزل من السَّماء بعد ذلك، فلم يكن الماء فقط، بل الملائكة، في الآية التالية، وهذا بدوره يتجلى فيه تأييد الله –تعالى– وتثبيت المؤمنين الذي وصل إلى الغاية والمنتهى.

وجاءت جملة: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ لتعلل نزول المطر، فقد طهرهم من كل شيء، وابتدأ من فوائد المطر بالتَّطهير، يقول الإمام البقاعي في هذا: "لأنَّه المقرب من صفات الملائكة المقربين من حضرات القدس"[(١)]، فكان الافتتاح بالتطهير وصولا إلى هذه المنزلة الرفيعة، وإفصاحًا عن جلالة أقدار هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فصدَّقهم وطهَّرهم من الذنوب، والأقذار، وثبَّت أقدامهم.

ثمَّ عطف عليه عطف فيه ترقي وصل بالثبات إلى أعلاه، حيث خرج بهم من قبضة الخوف والقلق وطغيان الكافرين والشيطان إلى متسع الرضا والغفران، وذلك في جملة: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، والتَّعبير بالمضارع؛ يكسب هذا الذهاب حضورًا مستمرًا متجددًا، يفتح لهم أبواب رحمته، ويثبت أقدامهم، ويقوي إيمانهم.

وتقديم الجار والمجرور: ﴿عَنكُمْ﴾ في جملة: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يؤيد المعنى السابق، لبيان الاهتمام بهم، وتسكين قلوبهم،

---

(١) السابق ٢٣٦.

واختصاصهم دون غيرهم، وهذا مما لا يخص جميع المخلوقات، لكن من لهم مزية عند ربهم، يؤيدهم ويثبتهم، ويذهب عنهم رجز الشيطان.

والرجزُ: "الاضطراب، ورجز الشّيطان: ما يدعو إليه من الكفر والبهتان والفساد"[(١)]، وقد قال الإمام البقاعي: الرجز "يطلق على القذر وعبادة الأوثان والعذاب والشِّرك، فقد كان الشَّيطان وسوس لهم، ولا شك أنَّ وسوسته من أعظم القذر فإنَّها تجر من تمادى معها إلى كل ما ذكر"[(٢)]، والله –تعالى– قد أذهب عنهم جميع ما فعله الشَّيطان بهم من خوفٍ واضطراب، فكان هذا من أعظم التأييد من الله –عزَّ وجل– الذي أبحر بثباتهم إلى المنتهى، وأزال عنهم جميع ما يجر إلى الرجز.

ولا يقف النَّظم القرآني بتثبيتهم عند هذا الحد، بل جاء بجملة أخرى معطوفة على ما قبلها، وهي عالم من المعنى: ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ وأصل الرَّبط: الشَّد، يقال: رَبْطُ الفرس: شدَّه بالمكان للحفظ"[(٣)]، وقد قال ابن فارس أصل الرِّباط: "مُلَازَمَةُ ثَغْرِ الْعَدُوِّ، كَأَنَّهُمْ قَدْ رُبِطُوا هُنَاكَ فَثَبَتُوا بِهِ وَلَازَمُوهُ"[(٤)].

و(على) مستعارة لتمكن الربط على القلوب برباط الإيمان، فقد شبه الربط على القلوب، وشد وثاقها بالإيمان، بالظرف بجامع التَّمكن، ثمَّ استعير لفظ (على) وهو جزء من جزيئات المشبه به، واستعمل في المشبه على سبيل الاستعارة التبعية، وهذا إشارة إلى إشراق نور الله –تعالى– علي المؤمنين، وتطهيرهم، وتثبيتهم حسًا ومعنى، وإزالة الاضطراب عنهم.

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٣٤١.
(٢) نظم الدرر جـ٨/٢٣٦.
(٣) المفردات في غريب القرآن صـ٣٣٨.
(٤) مقاييس اللغة جـ٢/٤٧٨.

وهذا مما يفصح عن صفاء نيَّاتهم، وطهارة نفوسهم، فثبتهم، وأصلح أعمالهم، ودمَّر عدوَّهم.

ثمَّ جاء بقوله: ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ وهذه الجملة قلب الجمل السَّابقة، لأنَّ (غشيانهم النَّوم)، و(نزول المطر عليهم)، و(ذهاب رجس الشيطان)، و(الربط على قلوبهم) إنَّما كان لتثبيت أقدامهم في وجه عدوِّهم.

وجاءت معطوفة بالواو؛ للإشارة إلى أنَّه نوع مغاير لما قبله وصل بهم إلى أقصى درجات العطاء، والتثبيت، والخلود في النَّعيم المقيم.

ومجيء الثبات بالمضارع أعطاه حضورًا مستمرًا متجددًا، يتجدد فيه كل أنواع النَّعيم، وكل ما تشتهي قلوبهم، وتقر به عيونهم.

والجار والمجرور في (به) الذي جاء متعلقًا بنزول الماء، ألبس تثبيتهم معناه اللائق به، فنزول المطر طهرهم، وأزال عنهم رجس الشيطان، وربط على قلوبهم، وكل هذا من شأنه تثبيت الأقدام، فلم يترك شأن من شئون التثبيت الحسي والمعنوي إلا أتي به النَّظم القرآني.

وقد تجلَّى التثبيت في أبلغ صوره بتأييدهم بالملائكة، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾، وهذا فيه غاية النَّصر والتأييد والتثبيت، لأنَّه لا شيء أعظم من وحي الله -تعالى- للملائكة بتثبيت المؤمنين، فهذا قمة الرضا التي وصل إليها المؤمنون.

وفي ابتداء الآية بـ(إذ) الظَّرفية الدالة على الزَّمن الماضي كما أشار صاحب الجنى الداني(١) إشارة إلى تحقق الوحي، والتَّعبير بالمضارع ﴿يُوحِى﴾ معها دون الماضي أفاد التجدد، فالله -تعالى- لا ينقطع وحيه

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي صـ١٨٥، تحقيق: د/فخر الدين قباوة، ود/محمد نديم فاضل، النَّاشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

للملائكة بتأييد المؤمنين، ولا شك في أنَّ هذا غاية العناية بهم، وغاية التثبيت لهم.

والتَّعبير بـ(ربك) وتوجيه الخطاب للنَّبي -ﷺ- دون المؤمنين، للإشارة إلى عناية الله -تعالى- بنبيه فيما كلفه به، وتلطفا به، ورفعًا لشأنه[١]، وحبسًا للأفواه النَّاطقة بالاستهزاء والإنكار، كما يشير إلى الترغيب في الإيمان والثبات عليه، وقبول الحق، واتباعه -صلى الله عليه وسلم.

وإذا تأملنا معنى (مع) نجد أنَّها تدلُّ على الاجتماع في الزَّمان والمكان وتدلُّ على النَّصرة[٢]، والمجيء بها في المصدر المؤول في: ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾[٣]، أبلغ من المصدر الصريح في تثبيت المؤمنين، لما يدلُّ عليه من أنَّ معية الله -تعالى- للملائكة ممتدة في الحاضر والمستقبل، لتأييد المؤمنين، وهذا بدوره يخفي وراءه عجزًا عن مواجهة أي أحد للمؤمنين، لأنَّها قوة قاهرة لا تُدفع ولاتُقاوم مهما تغيَّر الزمان والمكان.

وإذا نظرنا إلى الفاء في جملة: ﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ نجد أنَّها تفصح عن قهر المشركين، وتبخير ساحتهم، لما تدل عليه من شرط مقدر، أي: إذا كان الله -تعالى- معكم في هذا التأييد فثبتوا الذين آمنوا[٤]، وأي تأييد وتثبيت بعد هذا.

والتثبيت قال عنه الزَّجاج: "جائز أن يكون أنَّهم يثبتوهم بأشياء يلقونها في قلوبهم تقوى بها، وجائز أن يكونوا يرونهم مددا، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا"[٥]، وقد يحمل معنى البشارة، قال الإمام الزَّمخشري: أن يراد

(١) ينظر: التحرير والتنوير جـ٩/٢٨٠.
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ٧٧١.
(٣) ينظر: الجدول في الإعراب جـ٩/١٨٢.
(٤) ينظر: زهرة التفاسير جـ١٢/٦.
(٥) معاني القرآن، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج جـ٢/٤٠٤، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

"بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصحّ عزائمهم ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدّون بالملائكة، فكان الملك يمشي في صورة رجل أمام الصَّف، ويقول: أبشروا فإنّ الله ناصركم عليهم لأنَّكم تعبدونه، وهؤلاء لا يعبدونه"(١)، وبذلك قويت عزائمهم، وبُثت روح النَّصر في قلوبهم.

وقد أشار تعريف المؤمنين بالموصولية في:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلى وجه بناء الخبر، فتأييدهم، وتثبيتهم، وإلقاء الرعب في قلوب عدوهم من جنس إيمانهم، وصدق نيَّاتهم.

وإذا تأملنا الآية الكريمة نجد أنَّها أوجبت الوقف عند جملة الأمر بالتثبيت في: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾لما يدلُّ عليه من القوة في المواجهة، ولابد من الوقف عليها؛ لإظهار قهرهم، وترك المساحة الزمنية لهم للتعجب من قوة المؤمنين مع قلة العدد والعدة، وهذا المظهر بيَّن لهم كيف بتروا كلمات الحق، وألقوا بها وراء ظهورهم.

وتأتي جملة: ﴿ سَأُلۡقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا، ليتجلَّى فيها برهان النُّبوة بقوته، وتثبيت المؤمنين بسطوته، وذلك بإضافة إلقاء الرعب إلى ياء العظمة، فالله –تعالى– هو الذي يتولى ذلك، وهذا من أعظم تثبيت الله لهم، فقد ألقى الرعب في قلوب الكافرين، وثبطهم وأذلَّهم، وأعمى أبصارهم.

والتعبير بحرف الوعاء (في) في قوله: ﴿ سَأُلۡقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ يدلُّ على عظيم الرعب الذي ألقاه الله –تعالى– في قلوبهم فقد تمكن منهم، وصار أوعية لهم تحتضنهم، حتى أنساهم قوتهم

(١) الكشاف جـ٢/٥٦٢.

وعدتهم التي تأهبوا بها للمؤمنين، وهذا يكشف عن عظيم التثبيت للمؤمنين، وإشعارهم بجبروت الله –تعالى– وعزته.

وفي تعريف الذين كفروا بالموصولية إيماء إلى وجه بناء الخبر فإلقاء الرعب في قلوبهم، وتدميرهم، وقدرة المؤمنين عليهم من جنس استكبارهم وكفرهم وعنادهم.

وإذا نظرنا إلى تعريف الرعب بـ(أل) الجنسية نجد أنَّها أحضرته بجميع صوره في ذهن المتلقي، بما يتضمنه من معاني القوة والغلبة والتثبيت للمؤمنين.

وجملـــــة: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ جاءت متفرعة على ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾(١)، لتدل على نتاج تثبيتهم، وحصاد أعمالهم بأيديهم بعد كل هذا التَّمهيد الذي فاق كل قوي وجبَّار، ولو أراد الله –تعالى– لأهلك المشركين، ولكن أراد أن تكون قطوف زرعهم دانية بأيديهم؛ ليتعلموا معنى البلاء، ويؤجرون (٢)، ويشعرون بمعنى التثبيت، والقوة والصلابة التي يتميز بها الإيمان بالله تعالى.

وقد خصَّ النَّظم القرآني الضرب بفوق الأعناق، والبنان، لأنَّ "الْعُنُقُ: هُوَ وُصْلَةُ مَا بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْجَسَدِ"(٣) وإذا بارت بما فيها، بارت أجسادهم، وتدمرت حركاتهم، وتبخرت رؤوس الكفر ولم يقم لها وزنا، وهذا من تمام التثبيت للمؤمنين.

أمَّا إذا نظرنا إلى (البنان) فنرى النَّظم القرآني عبَّر بالجزء (البنان) وأراد الكل، وهو (الأيدي) "لأن تناول السِّلاح إنَّما يكون بالأصابع، ومن ثم كثر في كلامهم الاستغناء بذكر ما تتناوله اليد أو ما تتناوله الأصابع، عن

(١) ينظر: التحرير والتنوير جـ٩/٢٨٢.
(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن جـ٥/٥٧٩.
(٣) مقاييس جـ٤/١٥٩.

ذكر السيف"[١]، ومن هنا كان التعبير بالبنان يشير إلى أهمية قطعها، فقطعها يغير الواقع، ويقيم الحق، ويهدم الباطل؛ لأنَّها آثمة امتدت بالاعتداء على المؤمنين؛ لذا خصَّها الله –تعالى، وأضاف إليها (كل) لاستغراق أصحابها، فلا يتبقى على الأرض منهم أحد.

ومن يتدبر (من) في هذه الجملة: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ يجد أنَّها بيانية خُصت بالبنان، ولم تأت في (الأعناق) للإشارة إلى أنَّ رؤوسهم جنس، وبنانهم في الكفر والإفساد جنس آخر، وهذا يدلُّ على بشاعة ما اقترفته أيديهم، ودبَّرت له رؤوسهم للقضاء على الإسلام والمسلمين؛ لذا نجد أنَ الله –تعالى– أسند إلى عظمته عمل، وإلى الملائكة عمل، وإلى المؤمنين عمل آخر، وكلهم كأنَّهم مصابيح من نور جمعت أطرافها لتثبيت المؤمنين في أعلى صورة، وإهلاك المشركين، وتبخير ساحتهم.

وتعانقًا مع تثبيت المؤمنين نلحظ أنَّ هذه الجملة جاءت موصولة دون علامات وقف؛ لتدل على التثبيت الذي جاء متواليًا على المؤمنين، والقهر والخذلان والعذاب الذي جاء بموجاته دون توقف على الكافرين.

وبعد، فقد جاء الثبات بمعناه المعنوي والحسي، مقترنًا بتأييد الله –تعالى– وأضفى ظلاله البلاغية على السِّياق بأكمله، وأفصح لنا عن جلالة قدر النبي –ﷺ– وأقدار المؤمنين عند ربهم، فهم في ثبات وتأييد لا ينقطع، ما داموا يترفعون عن الصَّغائر، يتسامون عن الرذائل، يجتنبون الجاهلين، فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) التحرير والتنوير جـ٩/٢٨٣.

الموضع الخامس:

الثبات وذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤].

هذه الآية تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ ذكرَ اللهِ -تعالى- جذرٌ من جذور الإيمان؛ لأنَّه يملأ القلب يقينًا، ويذهب عنه الروع والفزع، فيثبت على الإيمان، وفي مواجهة كل متربص للإسلام، وبدونه يكون حيٌّ تائه لا يَهتَدِي، ولا يُهتَدى إليه، لذا جاء الثبات مقترنًا به.

والثبات -هنا- بمعنى "لزوم المكان دون تحرك ولا تزلزل، وقد أطلق على معنى مجازي وهو الدوام على القتال وعدم الفرار"(١)، ولمَّا كان بهذا المعنى، كانت النَّفس بحاجة إلى ما يهيأ لها تلقيه بقلوب واعية محبة؛ لذا افتتحت الآية بالنِّداء الَّذي يقرع الآذان بصداه، فتَمْتَثِل لأمر خالقها دون تخاذل أو كسل.

وفي تعريف المؤمنين باسم الموصول في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تأكيدٌ لهذا الامتثال؛ لما يؤذن بتذكيرهم بأصلهم الذي ينافي التقاعس، والفرار، وهذا من أبرز صفاتهم، فيحملهم ذلك على تلقي أوامره -سبحانه- بقلوب يقظة مهما ترصدت لها عواصف الحياة.

وجملة: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ قيد للثبات في وجه العدو، فإنَّ النَّظمَ القرآني، قد قيَّدَ الثبات بلقاء العدو مجتمعين للتربص بالإسلام وأهله، لا مجرد الوقوف، وهذا ملمحٌ مهمٌ مع التعامل مع أصحاب العقائد الأخرى، ويؤكد ذلك أنَّ اللقاء: "الإدراك بالحسّ، وبالبصر، وبالبصيرة"(٢)،

---

(١) التحرير والتنوير جـ١٠/٣٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٧٤٥.

والفِئَةُ: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التّعاضد"(١)، والمكيدة لأحد، وهذا تأكيد على أنَّ (الثبات) في هذا السياق مقيدٌ بلقاء العدو مجتمعين متعاضدين يكيدون للإسلام وأهله، لا مجرد الاجتماع.

وإيثار (الفاء) في جواب الشرط ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ لما تدل على ربط الشرط بالجواب، فقد يأتي بدونها، ويكون (إذا لقيتم فئة اثبتوا) لكنَّ النَّظم القرآني قد أتى بـ(الفاء) لما تدلُّ عليه من سرعة في الثبات وامتثال أمر الله -عزَّوجل- فبمجرد لقاء العدو يكون الثبات على أشد صوره المليئة بالإيمان واليقين، والفعل الحسي في مواجهة الأعداء، فيتحقق النَّصر.

واستخدام أسلوب الشرط خاصَّةً في تحقق الثبات في أرض المعركة؛ لما له من أثرٍ عظيم على المتلقي، لا يتحقق بغيره من الأساليب الأخرى، وذلك لما تحدثه جملة الشرط من إثارة وترقب للجواب، فإذا ما علم المتلقي أنَّ الفلاح ، الذي هو أكبر من كل نعيم هو منتهاه ثبت، وجاهد في الله – تعالى- حق جهاده.

وقد قرن النَّظم القرآني الفلاح بذكر الله -عزَّوجل- والثبات في القتال؛ لما بينهما من رباط وثيق؛ إذ هما من أعظم أركان الفلاح في الدنيا والآخرة، فذكر الله -تعالى- أصل الإيمان، وأصل العلاقة بين العبد وخالقه، والثبات في أرض القتال لإعلاء كلمة الحق، تصديق لمحبته -سبحانه، والثبات على دينه، والفلاح بينهما لحثهم وتشجيعهم لامتثال أوامره – عزَّوجل.

وفي إضافة الذكر للفظ الجلالة الظَّاهر في: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ لما فيه من عُدة عظيمة للمؤمنين في أرض القتال، فليس التَّخطيط، والعدة هي السبب في النَّصر والفلاح فقط، بل بركن الحرب

(١) السابق صـ٦٥٠.

الأعظم، وهو (ذكر الله)؛ لذا قرنه النَّظم القرآني به دون غيره من الضمائر لإشعار المؤمنين بعظمته، ومعرفتهم أنَّه سبب في النَّصر أكثر من التخطيط والترتيب.

واقتران الذكر بالوصف (كثيرًا) في ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾؛ يدلُّ على القوة التي يستمدها الإنسان من الذكر الكثير؛ لأنَّ الذكرَ يقوي القلب، وفيه استشعارٌ بعظمة الواحد الذي يجير ولا يجار عليه، فيمتلئ القلب قوة وثباتا.

فضلا عن تنكير (كثيرًا) فهو يدلُّ على التعظيم، والكثرة، تعظيم باستشعار قوة الله –عزَّوجل– وغلبته، وتكثير؛ لأنَّ تكرار الذكر يزيد القلب قوة وحماسًا وثباتا.

وتأتي جملة: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ معقد الثبات لإعلاء كلمة الله، وهذه الجملة، يكون بها الإنسان إنسانا، وأنَّ كل ما عمله قد طاب وتوِّج بالفلاح؛ لأنَّهم لما طابت نيَّاتهم، وصدق إيمانهم، وحسن ثباتهم، وكثر ذكرهم لله باستشعار عظمته وقوته طاب لهم المرتقى، وحق لهم الثبات والفلاح.

والتعبير بالمضارع: ﴿تُفۡلِحُونَ﴾ يدل على أنَّه فلاحٌ ورضوان من الله أكبر يزاولهم، ويسدل عليهم أستاره ماداموا يثبتون لإعلاء كلمة الحق، ويذكرون الله بصدق نية، وصفاء سريرة، وهذا منتهى الرضوان.

وبعد، فذكر الله –تعالى– هو قلب الثبات والنَّصر والفلاح، كما أفصحت عنه بلاغة النَّظم القرآني، فعلى العبد أن يذكر الله –تعالى– ويستشعر هيبته وقوته مهما كان القلبُ قلقًا، ومهما كانت النَّفسُ قلقة بعواصف الحياة، فلا يشغلها شاغل عنه سبحانه.

الموضع السادس:

تأييد الله –تعالى– للمؤمنين بالقول الثابت.

القول الثابت: "الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه، فاعتقده واطمأنت إليه نفسه"(١)، وقد قال صاحب زهرة التفاسير: القول الثابت الذي يقوم على دعائم الحق، ولا يتزلزل لباطل، ويصح أن نقول إن الثبات صفة لصاحب القول، وأضيفت إلى القول؛ لأنه لَا يثبت القول إلا بثبات صاحبه الذي لَا تزلزله عوابث الهوى ولا أوهام الشيطان(٢)، ولذا جعله الله –تعالى– من الوسائل التي يثبت بها العبد في الدنيا والآخرة، لأنَّه يضرب بذور الحب في أعماق الأرض، يصل بأفواه العاشقين له إلى أشياء عظيمة لا منتهى لكبارها، ثمَّ يناطح السَّحاب بشموخه وعظمته؛ لأنَّه أسس لنفسه ما يعلو بها عن أرض البشر إلى مسكن الملائكة.

قال تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٢٧].

هذه الآية الكريمة ترجع إلى رأس السُّورة رجوعًا ظاهرًا، التي من شأنها تثبيت المؤمنين، وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور، وإعلاء كلمة الحق(٣)، ونفي الأباطيل عنها.

وعند التَّأمل لهذه الآية الكريمة نجد أنّ الثَّباتَ قد أعطانا صورة معنويَّة، لها بالغ الأثر في تثبيت المؤمنين، وإلقاء اليقين في قلوبهم، وقد وقع في جملة خبرية من الله –تعالى– فازداد به المؤمنون قوة ووكادة، وحمل في طيِّه عزًا لهم لا يقاوم، وبرهانًا وحجة من الله –تعالى– لا تغلب.

---

(١) الكشاف للزمخشري جـ٣/٣٥٧.

(٢) زهرة التفاسير جـ٨/٤٠٢٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير جـ١٣/١٧٨.

والمجيء بالفعل المضارع: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يدلُّ دلالة واضحة على أنَّه ثبات متجدد عطاؤه، يشعرون بنعيمه في كل زمان ومكان، وإضافته إلى لفظ الجلالة الأعظم ﴿ ٱللَّهُ﴾ في جملة: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أشار إلى أنَّ تأييدَ الله –تعالى– لهم واضح، وتثبيته لهم راسخ، فهو الذي ربَّاهم وأعطاهم وحفظهم بذاته، لذا لا يهتدون إلَّا إلى الحق، ولا يبصرون إلَّا الهدى، ولا يتخبطون في ظلمات الضَّلال ولا الجهل أبدًا، فقد أفضى الثَّبات من ربهم عليهم يقظة رسمت لهم خطواتهم في الفلاح والهداية التي لا يضل صاحبها ولا يشقى، وبذلك يمكن القول بأنّهم قد وصلوا بهذا الثَّبات إلى الشَّاطئ الذي ينتهي إليه من يصطفيه الله –تعالى.

وتعريفهم بالموصولية، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قرر عليهم ما في جملة الصِّلة من ثبات في القول تثبيتًا واضحًا، وأفضى عليهم تعظيمًا وتشريفًا من الله –تعالى– لا يوصف.

وجملة: ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ من أروع الخطوات نحو الثَّبات على الهدى، والتَّعبير بـ(القول) دلَّ على الاهتمام به؛ لأنَّ القولَ: "يستعمل في العناية الصَّادقة بالشَّيء"(١)، فالله –تعالى– لا يُثَبِت المؤمنين إلا على الحق فأزال عنهم أي تعويق يبدد خطواتهم نحو الإيمان، والفوز برضوان الله.

وقد ازداد المؤمنون ثباتًا ويقينًا بفيض النَّعم التي امتنَّ الله –تعالى– بها عليهم، وذلك بتعريف (القول) بـ(أل)، فقد استغرق جميع الأقوال دقيقها وجليلها، وإضافة الوصف إليه في قوله تعالى: ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ يدل على أنَّه بلغ الغاية في الثَّبات، ونُفِى عنه أي غلو أو عُتو، ومجيء الحال في

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٦٨٨.

جملة: ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾(١)، وضّحت حالهم في الدنيا والآخرة، فهم لم ينصرفوا عن دينهم ولا القول الحق مهما زلزلتهم شهوات الدنيا، التي هي أم المتغيرات، وأم الشَّهوات، والصَّراعات، فقد سلمت فطرتهم، وطبع عليها بثبات الإيمان فلا يخامر قلوبهم ذل ولا انكسار أبدًا، كما أنَّه يدل على أنَّ الثبات قد تساوى عندهم كأنَّهم يرون الآخرة.

وعطْف: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ على حالهم في الدُّنيا، أكَّد ذلك المعنى، وألبسه معناه الأليق به، فكما اعتراهم الثَّبات في الدنيا، فقد لزمهم في الآخرة، لصفاء نيَّاتهم، وعظيم مجهودهم، ليصلوا إلى هذا الارتقاء.

وتكرار حرف الوعاء (في) في الجملتين:﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾، شاهد لتمكن الثَّبات من نفوسهم، وتكريم بالغ، فالآخرة شيء آخر، وتمكن الثبات منهم فيها، ينطوي عليه، "أنَّهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم، لم يتلعثموا ولم يبهتوا، ولم تحيّرهم أهوال الحشر، وقيل معناه الثَّبات عند سؤال القبر، وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذكر قبض روح المؤمن فقال «ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبيي محمد، فينادى مناد من السَّماء أن صدق عبدى فذلك قوله:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾(٢)، وهذا يعني أنّ الثَّبات قد بلغ الغاية والمنتهي، فهم

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه جـ٥/١٨٧.

(٢) الكشاف جـ٣/٣٥٧، والحديث ورد في: سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، جـ٢/١٤٢٧،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط.ت.

بذلك في مقام أمين، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلدون.

ومما يثير الانتباه أنَّ (الثَّبات) قد شمل المؤمنين في الدنيا والآخرة، فتصاعد معناه، وأفاد تمكنه منهم فأصبحوا راسخين في إيمانهم غير مترددين؛ لأنَّ الله –تعالى– ألقى عليهم الثبات فأزال عنهم الغشاوة التي تزيل نور الحق فلا تسمح له بالإدراك أبدًا.

وإذا نظرنا إلى ما انطوت عليه الحال الفارقة بين المؤمنين والكافرين بالمقابلة في قوله:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ نجد معنى الثَّبات ظاهرًا، كما أنَّه أُلبس الثوب اللائق به، والمتأمل لأطراف المقابلة يجد هذا جليا؛ لأنَّ الآية الكريمة قد انتقلت بالفريق المقابل إلى ضد ما صار إليه الأول، فظهر معنى الثَّبات وأثره على النُّفوس، وأول ما يلفت الانتباه، الضَّلال، وهو: "ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ"(١)، ومن معانيه كذلك: "العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية"(٢)، وكل ذلك إنَّما يرجع إلى تأرجح أرض الإيمان التي يحيا عليها العبد الذي يثبته ربه، فإذا ما ذهب هذا الثبات تبدد طريقه في الدنيا والآخرة.

والتَّعبير بالمضارع ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، دلالة على أنَّه ضلال متجدد من لحظة لأخرى بتجدد أفعالهم وظلمهم، وجرمهم وجبروتهم، فيظل ضلالهم عن طريق الجنَّة متجددًا نظرا لتخريبهم منبتهم وأصل فطرتهم، وتخريبهم دنياهم فعاد عليهم في الدنيا الضلال والوبال والهلاك، وعاد عليهم الشؤم في قبورهم وفي الجحيم يتقلبون فيه، لبعدهم وانحرافهم عن التَّوحيد والإخلاص المؤدي للثبات.

(١) مقاييس اللغة جـ٣/٣٥٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٥٠٩.

كما أنَّ المتأمل في كلمة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ يجد أنَّها المؤسسة لهذا الضَّلال، والبعد بهم عن الثَّبات؛ لأنَّها ترجع إلى: "الجهل والشّرك والفسق، ووضع الشَّيء في غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه"(١)، وهم قد احتضنوا هذا الكلمة بكل معانيها، قولا وفعلا، فاستحقوا هذا الضَّلال، والعيش على أرض متأرجحة لا يبرق الثَّبات في سمائها أبدا.

ومما زاد من معنى الثَّبات وأثره على النُّفوس، ومعنى الضَّلال وأثره على الظَّالمين، إظهار لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في الحالين لأنَّ هذا اللفظ جامع لجميع الصفات العلا، وله "من الفخامة وتربية المهابة مالا يخفى مع ما فيه من الإيذان بالتَّفاوت في مبدأ التَّثبيتِ والإضلال فإن مبدأ صدورِ كل منهما عنه –سبحانه وتعالى– من صفاته العُلا غيرُ ما هو مبدإ صدور الآخر "(٢).

وعَطْف ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ على: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، بـ(الواو) صعَّد معنى الضَّلال، لاشتماله على كل ما شأنه أن يذيقهم شؤم المصير، والتَّعبير بـ(ما) الموصولة في: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ له بالغ الأثر في ضلالهم، لأنَّ(ما) بإبهامها وغموضها تدلُّ على أنَّ الذي يفعله الله –تعالى– شيء لا يستطاع وصفه، فمهما تناهى عقل في تصوّره، فإنَّه لا يجد له بيان مثل ما يجد في هذا الغموض، وهذا يدلُّ على تهويل وتعظيم الضَّلال الذي يصبه الله –تعالى– على الظَّالمين، كما أنَّه أكَّد على أنَّ الثَّبات الذي يعتري قلب المؤمن إنَّما هو ثبات مفعم بالكثير من المعاني،

---

(١) السابق صـ٥٣٧.

(٢) تفسير أبي السعود جـ٥/٤٥.

ثبات يكشف كل غطاء للجهل والضَّلال، ومتلبس بالمؤمن لا ينفك عنه، رغم المغيّرات التي تهجم بسطوتها عليه في الدنيا.

وإذا كانت (ما) بإبهامها لها تأثير في الثَّبات، وتأكيده، والظَّلام القاتم على الظَّالم فإنَّ التَّعبير بـ(المشيئة) يؤكد هذا المعنى ويأخذ بعناقه؛ لما في المشيئة من إرادة الشَّيء الذي لم يتراخ وقته[1]، ولذا فإنَّ من وجّه إليه مشيئة الله –تعالى- فله النَّجاة والثبات والأمان، في دنيا المتغيرات، والذي شاء الله بضلاله فلا يبرق في سمائه ثبات أبدًا.

وبهذا يكون (الثَّبات) قد تلألأ في الآية الكريمة بين حال المؤمنين والظَّالمين، وكأنَّه سلم من نور، يصعد عليه المؤمنون في حياتهم؛ ليصلوا إلى مرضاة الله –تعالى، ولا شك في ذلك فمن ذاق طعم الإيمان والتَّوحيد الخالص يمنحه الله –عزَّوجل- من (الثَّبات) والتأييد سكينة ومغفرة ورحمة يتجدد عطاؤها، فلا يَعْرض في سمائه غبار لغضب الله –تعالى- أبدا، ومن بَعد عن منهاج الله –تعالى- يلبسه الله –عزَّوجل- ثوب الضَّلال، الذي يفسد عليه دنياه وآخرته.

(١) ينظر: الفروق اللغوية، للإمام أبي هلال العسكري، صـ ٩٠، تحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، النَّاشر: مكتبة ابن سينا، ط١/ القاهرة، ٢٠١٣م.

الموضع السابع :

الثَّبات والقرآن الكريم:

لمَّا كان القرآنُ الكريم هو مأدبة الله –تعالى– في خلقه أنزلها عليهم لتتغذى بها الأرواح، وتثبت، وتأمن، وتنتصر على الضَّعف الإنساني، وتسمو وترتفع؛ وتكون سليمة في كيانها، قادرة على أن تحمل الهدى إلى غيرها؛ جاء الثبات مصاحبًا له، لما في مأدبته من علم وخلق وحكمة(١)، فضلا عن ذلك فإنَّه لا تنال أمة أمنها، ولا يعز شأنها، ولا يرفع اقتصادها إلا به.

قال تعالى:﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

ضل الذي يهجر القرآن مجتديًا

منهاجه بغرورٍ من أعادينا

لَسْنا نُريدُ دَساتيرًا مرقَّعةً

فشرعةُ الله تكفينا وتُرضينا

آياته بالهدى والعدل قد نطَقت

تُضفي على الحق إيضاحًا وتَبيينَا

وإذا تأملنا السِّياق نجد الثبات قد ورد في الحديث عمَّا دار حول القرآن الكريم من شبهات، عندما كان ينسخ الله –تعالى– الشرائع بالشرائع، أو لفظ آية بلفظ آخر، فكثر المفترون، وقالوا: لو كان من عند الله –تعالى– لم يتغير، وهذا لجهلهم، فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأهون، والأشق بالأشق على ما تقتضيه حكمة الواحد الأحد في تقويم عباده(٢)،

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن جـ١/٦.

(٢) ينظر: الكشاف جـ٣/ ، التفسير الوسيط للزحلي د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي جـ٢/١٣٠٣، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط١/ – ١٤٢٢ هـ.

فجاءت الآية بالاستئناف البياني؛ للرد على كل من يحاول أن ينال من القرآن الكريم، بأنَّه ليس للمنافقين، ولا المرتابين، وإنَّما للذين ءامنوا يثبتهم تثبيتًا متجددًا مستمرًا، ويهديهم، ويبشرهم بجنَّات أعدَّت لهم عدا.

وافتتاح الآية الكريمة بفعل القول ﴿قُلۡ﴾؛ يدلُّ على أنَّ ما بعده من الأهمية بمكان، فيعلم المتلقي أنَّ القرآن ليس بافتراء، ولا النَّبي –ﷺ–ليس بِمُفْتَر، فيعي المتلقي الحكمة بأنَّ القرآن لتثبيت قلب النبي والمؤمنين بما فيه من منهاج قويم.

ومجيء الفعل (نـزَّل) على صيغة (فعَّل) في جملة: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ مؤذن بعظم التثبيت، لأنَّ: "النُّزُولَ في الأصل هو انحِطَاطٌ من عُلْوّ"(١)؛ وهذا بدوره يدل على عظمته بما يحتويه من ألوان الهداية التي يتزود بها المؤمن، ليثبت على الطريق المستقيم، كما أنَّ (نـزَّل) بهذه الصيغة يدلُّ على أنَّ النُّزول كان رويدًا رويدًا؛ لتثبيت النَّبي –ﷺ– والمؤمنين، كما كان ردًا على الذين يدورون حول القرآن بشبهة أخرى، ويقولون في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]، فكان هذا الفعل بهذه الصِّياغة أبلغ في الرد على المرتابين المفترين، وأعظم في التثبيت للذين يؤمنون ويوقنون.

وإيثار النَّظم القرآني تقديم المفعول في: (نزَّله) على الفاعل(روح) (٢)؛ لأنَّه محل الإنكار، وموضع العناية؛ لذا قدِّم للشعور بعلوه وقدسيته، وإثبات أنَّه بعيد عن شبهات هؤلاء الأفاكين، وأنَّه تثبيتٌ للمؤمنين.

---

(١) المفردات في غريب القرآن صـ ٧٩٩.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه جـ٥/٣٦٦.

واصطفاءُ (روح) بدلا من (جبريل) وإضافته إلى (القدس) تحقيقٌ للتثبيت في أبلغ صورة، لأنَّ (التقديس) هو التَّطهير الإلهي[١] من كل شيء، وجبريل بهذا الوصف، "هو الملك المقدس"[٢]، وتعريف (القدس) وإطلاقه بهذه الصورة يشعر بأنَّ القرآن العظيم هو الكامل في الحق البعيد عن كل ريب مهما كانت طريقة نزوله، وهذا من شأنه ما يثبت المؤمنين ويصل بهم إلى أعلى درجات اليقين.

وإذا نظرنا إلى مجيء الجار والمجرور في :﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ متعلق بـ﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾[٣] نجد أنَّه يؤكد هذا المعنى ويأخذ بعناقه؛ لأنَّ (الرَّب) هو المالك والخالق والمصلح لكل شيء[٤]، والمتكفل بأمور عباده ظاهرًا وباطنًا، لذا جيء به وأُضيف إلى ضمير النبي –ﷺ- للشعور بعلوه وحصانته، كما يشعر بوضاعة المشركين وحقارة شأنهم، فقد بلغ فسادهم ذروته، فنطق الجار والمجرور بأنَّهم بعداء كل البعد عن فضائل القرآن، وإنَّما هي للذين ءامنوا.

والحال في قوله تعالى: ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾[٥] صعَّد الموقف؛ لأنَّه بمثابة الدليل والبرهان على استحقاقهم العذاب، واستحقاق المؤمنين ما بعد الجار والمجرور من قوله: ﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾، ومجيء الثبات بالمضارع ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ زاد المؤمنين منعة وقوة؛ فالتثبيت من الله –تعالى- لهم في الحاضر والمستقبل لا ينقطع

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ٦٦٠.
(٢) التحرير والتنوير جـ١٤/٢٨٥.
(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه جـ٥/٣٦٦.
(٤) ينظر: مقاييس اللغة جـ٢/٣٨١.
(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه جـ٥/٣٦٦.

عنهم، حتى ليصيروا هداة مهتدين، ويحققوا معنى العزة والكرامة في الدنيا والآخرة.

كما أنَّ التثبيت بهذا الفعل ضارب في أغوار الَّذين كفروا لأنَّه يحيط بالمؤمنين من كل جانب، ويضمهم في رعاية، وهذا يسمو بعلو هدفهم وجميل سعيهم في الدنيا والآخرة.

واختصاص الذين ءامنوا بـ(التثبيت) في هذا المقام دون النَّبي -ﷺ- مع أنَّ الخطاب كان للنبي؛ لأنَّ المؤمنين كانوا بحاجة إلى هذا (التثبيت) ليثبتوا على الحق، ولكي لا تنازعهم أنفسهم في الخوض مع الذين خاضوا، لكن النبي –ﷺ– اختصَّه الله –تعالى– من الإيمان والثبات ما لا ينال الدنيا بأسرها، فثبت على اليقين(١).

أمَّا إذا نظرنا إلى اختصاص (المؤمنين) بالتثبيت دون غيرهم من البشر؛ لأنَّ الإيمان "يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء، تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح"(٢)، فناسب ذلك الاختصاص بالمؤمنين دون غيرهم؛ لأنَّهم فقهوا الناسخ والمنسوخ، وعلموا ما فيه من الهداية والرشاد، والحكمة البالغة، وبذلوا في سبيل ذلك الجهد الكبير، فاستحقوا التثبيت الذي يلاحقهم في كل مكان وزمان.

وجملة: ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ تحرك الثبات فيها إلى أقصى الأمنيات، حيث إنَّ (هدىً) و(بشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت، أي: تثبيتًا وهداية وبشرى(٣)، فبلغ التثبيت منتهاه، وتنكير (هدىً) مع تنوينها زاد من الثبات؛ لما فيه من دلالة على التعظيم، فهو

---

(١١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن جـ٧/٣٦٧.

(٢٢) المفردات في غريب القرآن صـ٩١.

(٣) ينظر: الكشاف جـ٣/٤٧٤، وإعراب القرآن وبيانه جـ٥/٣٦٦.

هدى عظيم يؤازرهم ويقويهم، ويرقى بهم إلى مكانة لا يصل إليها أحد، فيحقق لهم العزة والكرامة على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

وإذا توقفنا مع لفظ (بُشْرى) نجد أنَّه ناطق بجميل الثبات؛ لأنَّ (البشرى) تقال للخبر السَّار، والنَّفس إذا سرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر[١]، فيحدث لها التفاؤل والأمل والثِّقة في الله -تعالى- فتثبُت على اليقين، ولا ينازعها ضلال، والمجيء بها مطلقة للإشارة إلى فخامتها وعظمتها، وارتفاع شأنها فبشريات الله -تعالى- عظيمة هي التي مكَّنت للمؤمنين الثبات واليقين، وإلحاق الهزيمة بشهواتهم وأعدائهم.

ويتجلَّى فضل الله -تعالى- في التعبير بـ(للمسلمين) في قوله: ﴿وَهُدَى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾، فالبشرى والهدى، لكل "المنقادين المبرئين من الكبر الطامس للأفهام، المعمي للأحلام"[٢]، فيجعلهم يتجشمون الصعاب، ويسمون إلى أعلى درجات مرضاة الله.

وفي هذا إيماء إلى أنَّ هؤلاء المشركين لهم من الصِّفات ضد ما للمؤمنين، فهم متزلزلون ضالون، لهم خزيٌ ونكالٌ في الدنيا والآخرة [٣].

وبعد، فقد جاء التثبيت مقترنًا بالقرآن، وخُصَّ به الذين ءامنوا لما لهم من مزيد اختصاص عند الله -تعالى- وجاء بصيغة المضارع؛ للإشارة إلى أن الله -تعالى- يمنحهم التثبيت في كل شئونهم، كما أنَّه يدل على أنَّهم مصابيح لكل مهتد في الحياة الدنيا في كل زمان ومكان.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ١٢٤.

(٢) نظم الدرر جـ٢٥٦/١١.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، جـ٣٨٣/١٥، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

الموضع الثامن:

يأتي ثبات المؤمنين في هذا الموضع مقترنًا بنصر الله تعالى، المقتضي لنصر دينه، وإظهار سبيله، "والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه"(١)، والمجاهدة بالمال والنَّفس لتحقيق ذلك، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد: ٧].

لمَّا بدأت السُّورة بسد منافذ النَّجاة على الكافرين، وردت عليهم كفرهم أغلالا في أعناقهم، دعت المؤمنين الصَّادقين، لنصر دين الله –تعالى– لينعموا بالثبات.

وقد جاء الثبات في الآية الكريمة حبيسًا لنصر دين الله –تعالى– وجاء في صيغة المضارع، التي لها من القوة والحضور ما ليس لغيرها، فقد أكسبت الثبات حضورًا مستمرًا متجددًا، فكانت محركة للهمم تجاه نصر دين الله تعالى.

وقد مهد النَّظم القرآني للثبات بالنِّداء اللافت الذي يقرع الآذان، وينوّه بجلالة أقدار المؤمنين عند ربهم، فقد ناداهم بـ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ لما لهم من مزيد اختصاص عنده –سبحانه– حيث ربطوا حياتهم بالله، وانطلقوا إلى رضاه، وهذا بدوره تذكيرٌ لهم بإيمانهم، الذي لا يقبل إلا الطاعة، وتهييج لامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما أنَّه يشير إلى عظيم ما طُلب منهم، وجليل قدره عند الله –تعالى– ويكشف عن عظيم الثبات الذي جاء بصيغته في الآية الكريمة، فهو ثبات يسدل عليهم أستاره ظاهرًا وباطنا.

وقد أتى في جملة شرطية جوابًا للشرط، وهذا الضرب مثير للانتباه، وذلك لما في أسلوب الشرط من إثارة وتشويق، وتطلع لمعرفة الجواب، فإذا

(١) المفردات في غريب القرآن صـ٨٠٨.

ما علم المتلقي أنَّه التثبيت على أرض الإيمان في زمن المغريات بذل من أجله الأنفس والأموال، وهان في عينيه كل خطب.

ومجيء التثبيت في أسلوب الشرط بـ(إن) دون غيرها في قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ "للإشارة إلى مشقة الشَّرط وشدته ليجعل المطلوب به كالذي يشك في وفائه به"(١)، وهذا أدعى لتحقق الشرط، والنَّظر إليه بتأمل، والحمل على التنقيب عنه، واستنهاض الهمم نحوه مهما غلبت شهوات النَّفس عليها، فلا تصير حبيسة لها، بل تسعى جاهدة إلى الثبات الذي يفضي إلى النَّعيم.

وفي إسناد النَّصر للمؤمنين، تكريم واحتفاء بهم، ورفع لقدرهم، وإنزالهم منزلة المعين لله، المؤيّد له، والله سبحانه غنيٌّ عن كل معين؛ إذ كل شىء فى هذا الوجود هو منه، وهو النَّاصر لدينه، وإنما ذلك هو مظهر من مظاهر إظهار الولاء والطاعة وتقديم دين الله على النَّفس(٢)، فيضبط بذلك حقيقة إيمانهم، وترتفع مكانتهم، فيحصل لهم التثبيت في أعلى صوره.

كما أنَّ إظهار لفظ الجلالة (الله) دون غيره من الأسماء الأخرى؛ يؤكد أنَّ الله –تعالى– يستحيل عليه أي نقص لما لله –تعالى– من الكمال المطلق، فيربي في نفوسهم المهابة، ويُشعرهم بالرقابة على أفعالهم وصدق نيَّاتهم، فيحملهم على نصر دين الله –تعالى– وتحقيق ثباتهم.

وفي حذف المضاف (دين) في قوله: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ يفسح الطَّريق للمؤمنين بنصر دين الله –تعالى– بكل السُّبل، من إقامة شرعه، وحفظ دينه، ودفع عنه كل بلاء، وبهذا لا يدع للسَّامعين شيئًا لنصر دين الله إلا ويأتون به، فيكونوا بذلك جديرين بالتثبيت المتجدد عطاؤه في كل وقت،

(١) التحرير والتنوير جـ٢/٨٥.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن جـ١٣/٣٢٠.

والذي جاء في جملة جواب الشرط: ﴿ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ والابتداء بالنَّصر في هذه الجملة؛ لما للنصر من توضيح السبيل إلى النَّعيم، والاهتداء إليه، بتجدد مستمر، فلا تزيغ قلوبهم، وهذا بدوره نصرة لهم، وغرس للإيمان في قلوبهم.

وفرقٌ بين نصر الله –تعالى– للمؤمنين، ونصر المؤمنين لدين الله –تعالى– فالمؤمنون يقدمون الولاء والطاعة، ويأخذون بالأسباب، أمَّا الله –تعالى– يتولى تنفيذ كل هذا، بسهولة ويسر، لذا نجد أنَّه أسند (نصر الله) إلى لفظ الجلالة في جانب المؤمنين، لما فيه من استشعار عظمة الله، والعمل من هذا المنطلق، وعند نصرهم قال: ﴿ يَنصُرۡكُمۡ ﴾؛ لأنَّه النَّاصر لا غيره مهما قمعت الأعداء بعددها وعدتها.

وتأتي جملة: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾، ليرتقي فيها معنى النَّصر بالثبات، الذي يحمل معه معنى الحماية، وهو تمثيل لليقين وعدم الوهن بحال من ثبت قدمه في الأرض فلم يزل[(١)]، وهذا يملأ القلب سكينة، والبدن قوة وشجاعة فيكون القلب قاهرًا غالبًا واثقًا في الله معتزًا به، ولو اجتمع عليه الأرض ومن عليها[(٢)].

ومن ثمَّ فقد بيَّن النَّظم القرآني، أنَّ الثباتَ مصاحب لامتثال أوامر الله –تعالى– المتمثلة في نصر دينه باتباع أوامره واجتناب نواهيه، ولا شك أنَّ حاجة المسلمين في هذا العصر إلى نصر دينه –سبحانه– أكثر من أي عصر كان، لتدهور الزَّمان، فعلى كل مسلم أن يتمسك بنصر دين الله، ليُسْدل عليه أستار الثبات المتجددة المتألقة بنورها على المتقين، فتطيب نفسه، وينشرح صدره، ويحيا غالبًا قاهرًا على شهوات الدنيا وتقلباتها.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير جـ٢٦/٨٥.
(٢) ينظر: نظم الدرر جـ١٨/٢٠٩.

هذا... وإذا تدبرنا آيات ثبات المؤمنين، نجد أنَّ ترتيبها متناسب مع ما تهدف إليه من ثباتهم، فمجيء الثبات مصاحب للصبر في المرتبة الأولى، لأنَّه أساس التقويم، والتثبيت، ثمَّ إنَّ الإنفاق في سبيل الله يفتح الباب لمغفرة الذنوب، ومغفرة الذنوب بدورها حريَّة بتأييد الله -تعالى- بالملائكة، وذكر الله يثبّت المؤمنين بالقول الثابت، وتغلغل كل هذا في القلب يجعل المؤمنين أجدر بنصر دين الله مهما عصفت بهم الحياة.

فضلا عن أنَّ هذه المعاني رسمت صورة كلية لثبات المؤمنين وصلت بهم إلى الغاية والمنتهى في مرضاة الله تعالى.

****

الخَاتِّمة

حمدًا لله على ما أعان ووفَّقَ وسدد، وله الحمد، وله الشُّكر، وله الثَّناء الحسن الجميل، الذي جعلني أعيش في رحاب القرآن الكريم مُتَأَمِلَةً بعض الأسرار البلاغية في (آيات ثبات النبي –ﷺ–وثبات المؤمنين)، وبعد هذا التطواف السَّريع نستطيع أن نخلص إلى:

–وقع لفظ (الثبات) من الآيات المكية في خمس آيات بيِّنات، حيث كانت النَّفس البشرية في حاجة إلى ما يثبتها في وجه النَّوازل التي كانت تعصف بها، فكان الثباتُ بما يحمله من معاني البشرى والنَّصر هو قطبُ الرحى الذي أيَّد النبي–ﷺ– والمؤمنين في وجه هذه النوازل.

–وقد وقع في الآيات المدنية في سبع آيات بيِّنات، ونلحظُ من هذا أنَّه كلما استقرت الدعوة، زادت المتغيرات وانتظمت بجيوشها على حياة المسلمين، فكان الثباتُ هو السَّد المنيع في وجه الجيوش المحاربة سواء كانت حسية أم معنوية.

–كثُر مجيء الثبات في موضوع القتال، ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ القتال من أجلِّ الأمور التي تحتاج إلى شدة الثبات والتأييد؛ نظرًا لهول الموقف وصعوبته، وكراهة النَّفس للموت، إذ النفوس فطرت على حب الحياة وكراهة الموت، والقتال هو معقد الموت؛ لهذا السبب والله أعلم بمراده كثرت الآيات التي اقترن فيها الثبات بالقتال.

–يستدعي المقام في الأغلب (الثبات) المعنوي؛ نتيجة للحالة النَّفسية التي تقسو على المرء بسطوتها، فجاء الثبات المعنوي ليمسح آثار تلك السُّحب التي خيَّمت على النُّفوس، ويُجدد الأمل، والثقة بالله –تعالى– ويُشعر بالأمان.

– شكَّلَ الثبات الحسي ملمحًا خاصًا؛ لمجيئه نتيجة للثبات المعنوي، وكان بمثابة الفاحص الذي يقوم بالتَّأكد من صلاحية الثبات المعنوي في النُّفوس، ومدى تفاعل المشاعر معه، وبالتالي ينبه إلى انتظام الكيان

الإنساني، وكأنِّي بالثبات المعنوي يُصدر نوعًا من الاستعداد والتأهب للثبات الحسي والتَّفاعل التَّام معه.

-جاء (الثبات) في آياته بصيغ مختلفة، وتنوع بين الفعل والاسم، ومع تشابه صيغ لفظ (الثبات) التي وردت في بعض الآيات، إلا أنَّه يبقى لكل صيغة مقامها وملمحها الخاص البارز في سياقها.

- ورد الثبات بصيغة الاسم؛ للدلالة على ثبوته ودوامه، وتلبس أصحابه به بحيث لا يزول عنهم جراء امتثالهم لأوامر الله -تعالى- فجاءت هذه الصِّيغة لتدلي بدورها في تمكن الثبات منهم أبد الآبدين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾[إبراهيم: ٢٧].

- ورد الثبات بصيغة المضارع في سبع آيات؛ للدلالة على تجدده واستمراره بموجاته النُّورانية على كل مَن أراده الله -تعالى-به، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١ ﴾[الأنفال:١١]؛ فالتعبير بالمضارع (يثبت) فيه إشارة إلى الحرص الشَّديد على تكرار هذا الثبات حتى ما ينفك عنهم عبيره في كل وقت، وهذا بدوره يأخذ بأيديهم لإحضار كل ما مضى من امتنان الله - تعالى- عليهم، فيحملهم على الامتثال والطَّاعة.

- ورد بصيغة المصدر المؤول من (أن والفعل الماضي)، للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة، وثبوته وملازمته لهم، فأعطى مخاطبيه قدرًا هائلا من الأمن والاستقرار النَّفسي.

- جاء بصيغة الفعل الأمر؛ للدلالة على الإلزام والوجوب، والنُّهوض به دون تقاعس، كما ورد في أمر الله-تعالى- لملائكته بتثبيت الذين ءامنوا، وإلقاء السَّكينة في قلوبهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي

مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وجاء أمر من الله تعالى للذين ءامنوا كما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنفال: ٤٥].

وجاء الثبات في أسلوب الأمر الذي خرج من حقيقته إلى الدعاء والتَّضرع، والوقوف بين يدي الله –تعالى– رغبة في أن يسدل عليهم أستار الثبات، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

أمَّا من حيث البناء الصَّوتي، فقد اتَّسم لفظ (الثبات) بالإيقاع الصَّوتي المعبّر عن المعنى والحدث، ورسم بإيقاعه صورة صوتية معبرة عمَّا أراد النَّظم المحكم إيصاله للمتلقي، وأسلوب النَّظم القرآني يراعي النَّفس البشرية في دعوته، وما جبلت عليه من أهواء، ويصل إليها من معاقد التأثير فيها، فيستخدم من الألفاظ، وأصواتها ما يروعها، ويرهبها.

وهذه النتائج كانت من حيث بناء صيغة لفظ (الثبات)، والإيقاع الصَّوتي.

وإذا توقفنا مع وقوع لفظ (الثبات) من الأساليب البلاغية الأخرى فنجدها على النَّحو التَّالي:

- كثيرًا ما أتى لفظ (الثبات) في جملة، مفصولة؛ لأنَّه كان نتيجة لما تقدمه من أسباب قادرة على ذلك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ١٠٢].

- أتى اللفظ في جملة معطوفة على جملة من نفس فحواها؛ لبيان تنامي الثبات وتصاعده، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢] ، كما أنَّ العطف بـ(الفاء) –هنا– له حضوره في جملة الثبات؛ فقد أتت لتدلي بسرعتها البارقة في تسطير ثباتهم لما قدموه من يقين بالله – تعالى– كان حريًا بهذه (الفاء) التي تطوي الزَّمن بين طرفيها، وتدل على شدة ثباتهم.

- كان للشَّرط نصيب من القيود؛ لتنشيط فكر المتلقي وإثارة ذهنه، وتلقيه للخطاب بوعي تام، وكان أداة الشرط المستخدمة في ذلك (إن) كما ورد في قوله: تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧].

-وقع من المجاز المرسل لعلاقة الجزئية في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد:٧]؛ حيث أطلق الجزء وهو الأقدام وأراد الكل، أي يثبتكم، وعبر بها لأنَّها أداة الثبات.

- احتلت الاستعارة النَّصيب الأوفى في لفظ (الثبات)؛ وترجع أهميتها إلى أنَّ لها من القدرة على تصوير المعنى، وتقريبه للأفهام، فيعي المتلقي فصل الخطاب، ولا يكون له على الله –عزَّوجل– حجة بعد ذلك، كما ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فتثبيت الأقدام استعارة لعدم الفرار؛ حيث شبه الفرار والخوف بزلق القدم، وشبه عدمه بثبات القدم في المأزق، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

-قلة استعمال الصورة التشبيهية المصاحبة للثبات؛ لأنَّ المقام في الغالب تأسيس لقواعد الشريعة، وبناء للمسلم بناء قويمًا، وهذا بدوره يحتاج إلى الحزم في تقرير الأمور وإرساء قواعدها دون اللجوء إلى وسائل التقريب، والله -تعالى- أعلى وأعلم بمراده.

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث، ولا أقصد بالنِّهاية نهاية المطاف التي تغلق إبداء الرَّأي، وإرادة المزيد، ولكن حسبي أنَّنِي قلت ما وعاه فكري، وصبرت عليه نفسي، واجتهدت قدر طاقتي، واجتهاد البشر خاضع للخطأ والإصابة.

والله أسأل أن يلبسَ هذا البحث ثوب القبول، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فإنَّه أَفْضَلُ مَأْمُولٍ، وَأَكْرَمُ مَسْئُول، إنَّه الله ربُّ العَالَمِين.

****

المصادر والمراجع:

***أولا: القرآن الكريم:**

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط.

٢- إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط١/، ١٤٢٥ هـ.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١/ ١٤١٨ هـ.

٤- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، النَّاشر: مكتبة أنجلو المصرية، ط٥/١٩٧٥.

٥- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١/ ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧- التعبير الفني في القرآن د/بكري شيخ أمين، الناشر: دار الشروق – بيروت، ط٢/١٩٧٦م.

٨- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي ٨- القاهرة ، د.ط.ت.

٩- التعبير القرآني والدلالة النَّفسية، د/ عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للقرآت القرآنية، دمشق، ط١/١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

١٠-التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط١/ ١٤٢٢ هـ.

١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١/، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

١٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط١/١٩٩٧م.

١٣-الثبات، محمد بن موسى الشَّريف ، ط١/ ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

١٤-الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤/ ١٤١٨ هـ.

١٥-الجنى الداني في حروف المعاني، لحسن بن القاسم المرادي، تحقيق: د/فخر الدين قباوة، أ/محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٦- الزّمر -محمد، وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان، د/محمد محمد أبوموسى، النَّاشر : مكتبة وهبة ،ط١، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١٢م.

١٧-الصحاح، تاج العربية وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط٤/١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٨-الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

١٩-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ: علي محمد معوض، وآخرون، النَّاشر: مكتبة العبيكان، ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٠-المصباح المنير المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، د.ط.ت.

٢١-المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، جـ٩/١٣٠، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، د/ت.

٢٢-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط١/ - ١٤١٢ هـ.

٢٣-الواو ومواقعها في النظم القرآني، أ.د/ محمد الأمين الخضري، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة، ط١/ ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٢٤-بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن القيم الجوزية، النَّاشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د/ط.ت.

٢٥-تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، د.ط ت.

٢٦-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٧-تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٨-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: د/عبدالله بن عبد المحسن التركي، النَّاشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع،د.ط.ت.

٢٩-دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، بيروت دائرة المعارف ط٣/١٩٧١م.

٣٠-دراسات منهجية في علم البديع، د/ الشحات أبو ستيت، النَّاشر: دار الخفاجي للطباعة والنَّشر، ط١/١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٣١-دلالات التراكيب، د: محمد أبو موسى، النَّشر: مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، ط٤/١٤٢٩-٢٠٠٨م.

٣٢-زهرة التفاسير أحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي، د.ط.ت.

٣٣-سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط.ت.

٣٤-سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣٥-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢/ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٦-شرح المفصل لابن يعيش ، للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٧- عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٨-علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، د/بسيوني عبد الفتاح فيود، الناشر: مؤسسة المختار، ط٣/١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٣٩-فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٠-فضيلة الشكر لله على نعمته، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ، د.عبد الكريم اليافي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط١/١٤٠٢.

٤١-مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٢-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٣-معاني القرآن، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٤-مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٥-من أسرار التعبير في القرآن الكريم صفاء الكلمة، أ.د/ عبد الفتاح لاشين، الناشر: دار الفكر العربي، مدينة نصر - القاهرة، ط١: ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.

٤٦-من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، أد/ محمد الأمين الخضري ، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، ط١/ ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٤٧--من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء، ثمَّ" أ.د/ محمد الأمين الخضري، الناشر: مكتبة وهبة، ط١: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٨-مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٤٩-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع

حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د/ط، ت.

٥٠–موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.

٥١–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط.ت.

References :

***'awla: alquran alkarim:**

1- 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkirim, 'abu alsueud aleimadi muhamad bin muhamad bin mustafaa, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, du.ti.
2- 'iierab alquran alkarim, 'ahmad eubayd aldaeas- 'ahmad muhamad humaydan - 'iismaeil mahmud alqasima, alnaashir: dar almunir wadar alfarabi - dimashqa, ta1/, 1425 h.
3- 'anwar altanzil wa'asrar altaawili, nasir aldiyn 'abu saeid eabd allah bin eumar bin muhamad alshiyrazi albaydawi, tahqiqu: muhamad eabd alrahman almaraeashali, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut ta1/ 1418 hu.
4- al'aswat allughawiati, du/ 'iibrahim 'anis, alnnashr: maktabat 'anjilu almisriati, ta5/1975.
5- alburhan fi eulum alqurani, li'abi eabd allah badr aldiyn muhamad bin eabd allah bin bihadir alzarkashi, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, alnaashir: dar 'iihya' alkutub alearabiat eisaa albabaa alhalabi washurakayihi, ta1/ 1376 hi - 1957 mi.
6- altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid>> muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnisi, alnaashir : aldaar altuwnisiat lilnashr - tunis, sanat alnashr: 1984 hu.
7- altaebir alfaniyu fi alquran di/bakri shaykh 'amin, alnaashir: dar alshuruq - bayrut, ta2/1976m.
8- altafsir alquraniu lilqurani, eabd alkarim yunis alkhatib, alnaashir: dar alfikr alearabii 8- alqahirat , du.ta.t.
9- altaebir alquraniu waldilalat alnnafsyt, da/ eabdallah muhamad aljiusi, dar alghuthani lilquraaat alquraniati, dimashqa, ta1/1426hi- 2006m.

10- altafsir alwasiti, d wahbat bin mustafaa alzuhayli, alnaashir: dar alfikr - dimashqa, ta1/ 1422 hu.
11- altafsir alwasit lilquran alkarimi, majmueat min aleulama' bi'iishraf majamae albuhuth al'iislamiat bial'azhar, alnaashiru: alhayyat aleamat lishuyuwn almatabie al'amiriati, ta1/, (1393 hi = 1973 mi) - (1414 hi = 1993 mi).
12- altafsir alwasit lilquran alkarimi, muhamad sayid tantawi, alnaashir: dar nahdat misr liltibaeat walnashr waltawziei, alfajaalat - alqahirati, ta1/1997m.
13- althabati, muhamad bn musaa alshsharyf , ta1/ 1429h -2008mi.
14- aljadwal fi 'iierab alquran alkarim, mahmud bin eabd alrahim safi, alnaashir: dar alrashida, dimashq - muasasat al'iiman, bayrut, ta4/ 1418 h.
15- aljanaa aldaani fi huruf almaeani, lihasan bin alqasim almuradi, tahqiqu: da/fkhr aldiyn qabawata, 'a/muhamad nadim fadil, alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta1: 1413h- 1992m.
16- alzzmr -muhamad, waeilaqatuhuma bal hum dirasatan fi 'asrar albayan, du/muhamad muhamad 'abumusaa, alnnashr : maktabat wahbat ,ta1, 1433h , 2012m.
17- alsahahi, taj alearabiat wasihah alearabiat, 'abu nasr 'iismaeil bin hamaad aljawhari alfarabi, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatar, alnaashir: dar aleilm lilmalayin - bayrut, ta4/1407 ha - 1987 mi.
18- alfuruq allughawiat , 'abu hilal alhasan bin eabd allah bin sahl bin saeid bin yahyaa bin mihran aleaskari, haqaqah waealaq ealayhi: muhamad 'iibrahim salim, alnaashir: dar aleilm walthaqafat lilnashr waltawzie, alqahirat - masr.
19- alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzili,abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmad, alzamakhashari jar allah, tahqiqu: alshaykhi: eadil 'ahmad eabd almawjud, alshaykhu: eali muhamad mueawad,

wakhrun, alnnashr: maktabat aleibikan, ta1/1418h - 1998m .

20- almisbah almunir almisbah almunir fi ghurayb alsharh alkabira, 'ahmad bin muhamad bin eali alfiuwmi thuma alhamawi, 'abu aleabaas,alnaashir: almaktabat aleilmiat - bayrut, du.ta.t.

21- almuejam alkabira, sulayman bin 'ahmad bin 'ayuwb bin mutayr allakhmi alshaami, 'abu alqasim altabarani, ja9/130, tahqiqu: hamdi bin eabd almajid alsalafi, dar alnashra: maktabat aibn taymiat - alqahirati, ta2, da/t.

22- almufradat fi ghurayb alqurani, 'abu alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa, tahqiqu: safwan eadnan aldaawudi, alnaashir: dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut ta1/ - 1412 hu.

23- alwaw wamawaqieuha fi alnuzum alqurani, 'a.da/ muhamad al'amin alkhudari, alnaashir: maktabat wahbta-alqahirati, ta1/ 1436h-2015m.

24- badayie alfawayid limuhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams alddin abn alqiam aljawziati, alnnashr: dar alkutaab alearabii, bayrut, lubnan, du/ta.t.

25- tafsir alshaerawi, muhamad mutualiy alshaerawi, alnaashir: mutabie 'akhbar alyawmi, du.t t.

26- tafsir alquran aleazimi, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bin kathirin, tahqiqu: sami bin muhamad salamata, alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawziei, ta2/ 1420h - 1999 mi.

27- tafsir hadayiq alruwh walrayhan fi rawabay eulum alqurani, alshaykh alealaamat muhamad al'amin bin eabd allah al'armi alealawi alharri alshaafieii, 'iishraf wamurajaeatu: alduktur hashim muhamad eali bin husayn mahdi, alnaashir: dar tawq alnajaati, bayrut - lubnan, ta1/ 1421 hi - 2001 m .

28- jamie albayan fi tawil alqurani, muhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli, 'abu jaefar altabri, tahqiqu: da/eabdallah bin eabd almuhsin alturki, alnnashr: dar hajr liltibaeat walnashr waltawziei,du.ti.t.
29- dayirat maearif alqarn aleishrina, muhamad farid wajdi, bayrut dayirat almaearif ta3/1971m.
30- dirasat manhajiat fi eilm albadiea, du/ alshahaat 'abu stit, alnnashr: dar alkhafajii liltibaeat walnnashr, ta1/1414h -1994m.
31- dlalat altarakib, du: muhamad 'abu musaa, alnnashr: maktabat wahbata, eabdin, alqahirati, ta4/1429-2008m.
32- zahrat altafasir 'ahmad bin 'ahmad bin mustafaa bin 'ahmad almaeruf bi'abi zahrata, dar alnashra: dar alfikr alearabii, du.ta.t.
33- sunan aibn majat 'abu eabd allh muhamad bin yazid alqazwini, tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi, alnaashir: dar 'iihya' alkutub alearabiat - faysal eisaa albabi alhalbi, du.ta.t.
34- sunan 'abi dawud, tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhumid, alnaashiru: almaktabat aleasriatu, sayda - bayrut.
35- sunan altirmidhi, muhamad bin eisaa bin sawrt bin musaa bin aldahaki, altirmidhi, 'abu eisaa , tahqiq wataeliqu: 'iibrahim eutwat eiwad almudaris fi al'azhar alsharif,alnaashar: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii - masr, ta2/ 1395 hi - 1975 mi.
36- sharah almufasal liaibn yaeish , lilzamakhshari, yaeish bin eali bin yaeish aibn 'abi alsaraya , qadim lahu: alduktur 'iimil badie yaequba, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, ta1/ 1422 hi - 2001 ma.
37- eidat alssabryn wadhakhirat alshshakryn, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn

qiam aljawziati, alnaashir: dar abn kathir, dimashqa, bayruta/maktabat dar altarathi, almadinat almunawarati, almamlakat alearabiat alsueudiati, ta3/ 1409hi/ 1989m.

38- ealam almaeani, dirasat balaghiat wanaqdiat limasayil eilm almaeani, du/bisyuni eabd alfataah fiud, alnaashir: muasasat almukhtari, ta3/1434h - 2013m.

39- fth albayan fi maqasid alqurani, 'abu altayib muhamad sidiyq khan bin hasan bin eali aibn lutf allah alhusaynii albukharii alqinnawjy , eaniy btbeh wqddm lah warajieah: khadim alealam eabd allah bin 'iibrahim alansary, alnaashir: almaktbt alesryat lltbaet walnnshr, sayda - bayrwt, eam alnashri: 1412 hi - 1992 mi.

40- fadilat alshukr lilah ealaa niematihi, 'abu bakr muhamad bin jaefar bin muhamad bin sahl bin shakir alkharayitii alsaamuri, tahqiqu: muhamad mutie alhafiz , da.eabd alkarim alyafi, alnaashir: dar alfikr - dimashqa, ta1/1402.

41- majmue alfatawaa, taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiat alharaani , tahqiqu: eabd alrahman bin muhamad bin qasimi, alnaashir: majamae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsaeudiati, eam alnashri: 1416h/1995m.

42- msnid al'iimam 'ahmad bin hanbul, 'abu eabd allah 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani, tahqiqu: shueayb al'arnawuwt - eadil murshidi, wakhrun, 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturki, alnaashir: muasasat alrisalati, ta1/ 1421 hi - 2001 mi.

43- maeani alquran, 'iibrahim bin alsiri bin sahla, 'abu 'iishaq alzujaji, tahqiqu: eabd aljalil eabduh shalabi, alnaashir: ealim alkutub - bayrut, ta1/ 1408 hi - 1988 mi.

44- maqayis allughati, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwinii alraazi, 'abu alhusayni, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, alnaashir: dar alfikri, eam alnashri: 1399h - 1979m.
45- min 'asrar altaebir fi alquran alkarim safa' alkalimati, 'a.da/ eabd alfataah lashin, alnaashir: dar alfikr alearabii, madinat nasr - alqahiratu, ta1: 1435h - 2014m.
46- min 'asrar huruf aljari fi aldhikr alhakim , 'ada/ muhamad al'amin alkhudarii , alnaashir: maktabat wahbat - alqahiratu, ta1/ 1409h -1989m.
47- -min 'asrar huruf aleatf fi aldhikr alhakim "alfa'i, thmm" 'a.d/ muhamad al'amin alkhudari, alnaashir: maktabat wahbata, ta1: 1414h - 1993m.
48- manahij albahth fi allughati, tamaam hasaan, alnaashir: maktabat al'anjilu almisriati.
49- mlak altaawil alqatie bidhawi al'iilhad waltaetil fi tawjih almutashabih allafz min ay altanzil, li'ahmad bin 'iibrahim bin alzubayr althaqafii algharnati, wadae hawashihi: eabd alghani muhamad eali alfasi, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, du/ti, t.
50- musueat al'akhlaq al'iislamiati, 'iiedadu: majmueat min albahithin bi'iishraf alshaykh ealwy bin eabd alqadir alsaqafi, alnaashir: mawqie aldarar alsuniyat ealaa al'iintirnit dorar.net, tama tahmiluh fay/ rabie al'awal 1433 hu.
51- nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr , 'iibrahim bin eumar bin hasan alribat bin ealii bin 'abi bakr, alnaashir: dar alkitaab al'iislamii, alqahirati, du.ta.t.